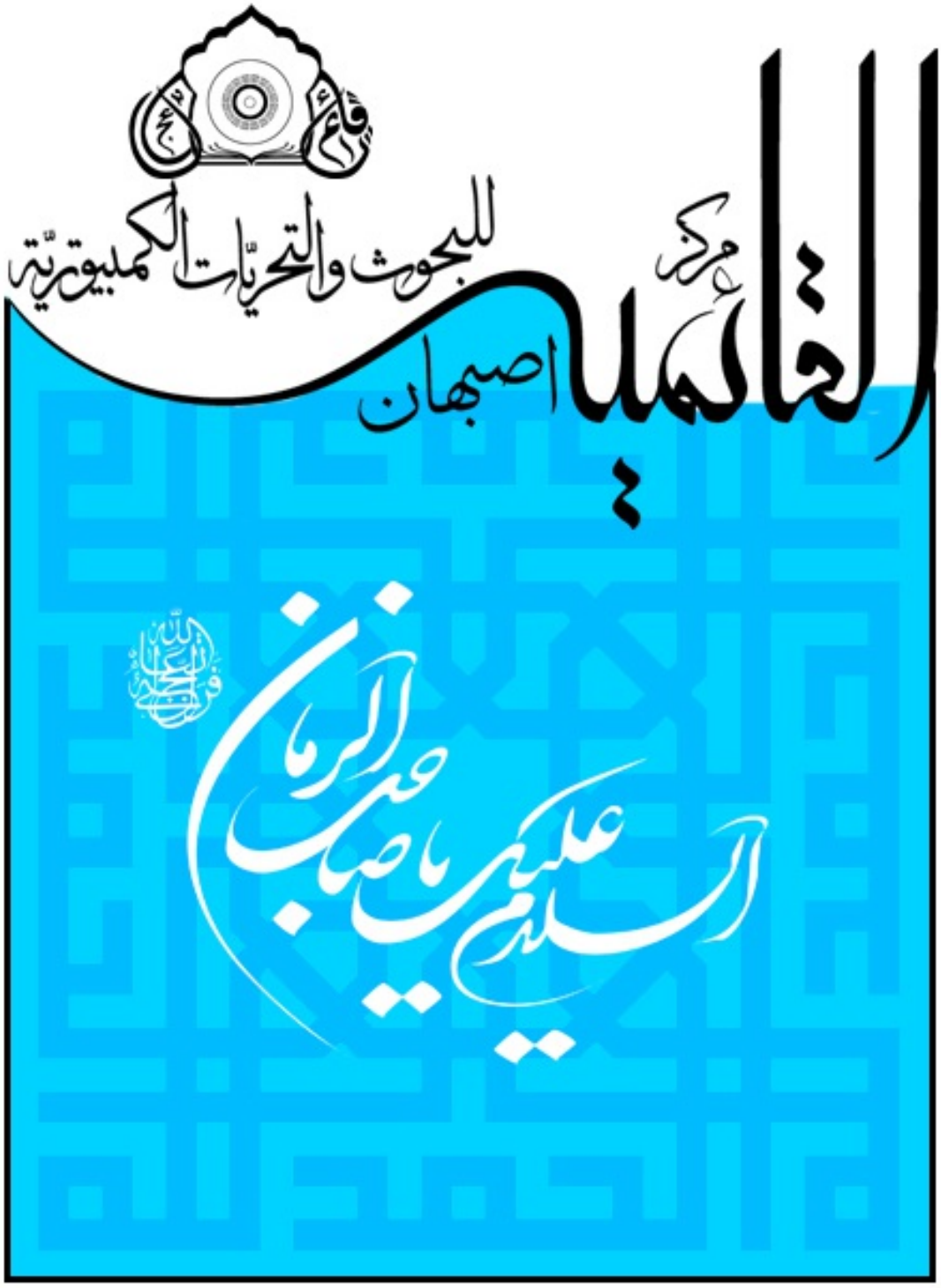

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

على مائدة العقيدة

١٤

الخاتمية

في الكتاب والسنة والعقل الصريح

رسالة موجزة تبحث عن أدلة الخاتمية

وتجيب على الأسئلة المطروحة

جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتميه فی الکتاب و السنه و العقل الصریح

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الخاتمیه فی الکتاب و السنه و العقل الصریح ----- ۸
اشارة ----- ۸
اشارة ----- ۸
المقدمة ----- ۱۱
تقدیم ملامح الشریعة الإسلامیّة ----- ۱۴
الفصل الأول الخاتمیة فی الذکر الحکیم ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
النص الأول: ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
الخاتم وما یراد منه: ----- ۲۳
النص الثانی: ----- ۲۵
النص الثالث: ----- ۲۶
النص الرابع: ----- ۲۸
النص الخامس: ----- ۲۸
الفصل الثانی الخاتمیة فی الأحادیث النبویة ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الخاتمیة فی أحادیث العترة الطاهرة ----- ۳۶
الفصل الثالث أسئلة حول الخاتمیة ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
۱- فکرة «الشعب المختار»: ----- ۴۲
۲- الانتماء إلی الیهودیة والنصرانیة مفتاح الجنة: ----- ۴۲
۳- الهدایة فی اعتناق الیهودیة والنصرانیة: ----- ۴۳

اشارة ----- ۴۳
الف- الاعتراف بحجیة العقل فی مجالات خاصة: ----- ۴۹
ب- إنّ الأحکام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلیة: ----- ۵۱
ج- التشریع الإسلامی ذو مادة حیویة: ----- ۵۴
د- تشریع الاجتهاد وعدم غلق بابه: ----- ۵۵
ه- حقوق الحاکم الإسلامی أو ولایة الفقیه: ----- ۵۶
مرونة التشریع الإسلامی: ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
الأول: کونه جامعاً بین الدعوة إلی المادة والروح: ----- ۵۸
الثانی: النظر إلی المعانی لا إلی الظواهر: ----- ۵۸
الثالث: الأحکام التی لها دور التحدید: ----- ۵۹
الجانب الثابت من حیاة الإنسان: ----- ۶۱
الجانب المتغیّر فی الحیاة الإنسانیة: ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
۱- فی مجال العلاقات الدولیة الدبلوماسیة: ----- ۶۶
۲- فی العلاقات الدولیة التجاریة: ----- ۶۷
۳- فی مجال الدفاع عن حریم الإسلام: ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷
- فی نشر العلم والمعارف والثقافة: ----- ۶۹
- فی مجال إقامة النظام: ----- ۶۹
- فی مجال المبادلات المالیة: ----- ۷۰
خاتمة المطاف الشیعة والخاتمیة ----- ۷۲
اشارة ----- ۷۲
۱- کتاب علیّ وإملاء رسول اللّه: ----- ۷۳

۲- مصحف فاطمة: ---- ۸۷

۳- ما هو مصدر روايات أئمة أهل البيت؟ ---- ۹۰

اشارة ---- ۹۰

أ- النقل عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ---- ۹۰

ب- النقل عن كتاب علىّ ---- ۹۱

ج- الإلهام أو تحديث الملائكة ---- ۹۱

المُحَدّث فى الإسلام: ---- ۹۲

تعريف مركز ---- ۹۷

الخاتمیه فی الکتاب و السنه و العقل الصریح

اشارة

نام کتاب: الخاتمیة فی الکتاب و السنة و العقل الصریح

نویسنده: آیة الله الشیخ جعفر السبحانی

موضوع: اعتقادات و پاسخ به شبهات

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: نشر مشعر

مکان چاپ: تهران

نوبت چاپ: ۱

ص:۱

اشارة

ص:۲

ص:۳

ص:۴

المقدمة

قال اللَّه تبارك وتعالى:

«ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ ولكنْ رَسولَ اللَّهِ وخاتَمَ النبيّينَ وكانَ اللَّهُ بِكلِّ شَيءٍ عَليما» الأحزاب/ ۴۰

روى جابر عن النبيّ صلى الله عليه و آله: مَثَلى وَمثلُ الأنبياء كمَثل رجلٍ بنى داراً فأتَمّها وأكملها إلّاموضعاً فجعل الناس يدخلونها ويتعجّبون منها، ويقولون لولا موضعُ هذه اللبنة، قال رسولصلى الله عليه و آله: فأنا موضع اللبنةِ جئتُ فختمتُ الأنبياء

التاج ۳: ۲۲ نقلًا عن البخارى ومسلم والترمذى

ص:۵

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد للَّهربّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد رُسُله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنّها تشكّل حجر الزاوية فى سلوكهم ومناراً يضىءُ دروبهم وزاداً لمعادهم.

ولهذا كرّسَ رسُولُ اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فى الفترة المكيّة من حياته الرسالية نفسه لإرساء أُسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك والوثنية، ثم بنى عليها فى الفترة المدنيةصَرحَ النظامِ الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسىّ.

ولهذا- ونظراً للحاجةِ المتزايدة- رأينا أن نقدّم للأُمةِ الإسلاميّة الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدَّةٍ من كتاب اللَّهِ العزيز، والسُنّةِ الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتَّفق عليه علماءُ الأُمةِ الكرام، واللَّه الموفِّق.

معاونيّة التعليم والبحوث الإسلاميّة

ص:۶

ص:۷

تقديم ملامح الشريعة الإسلاميّة

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيستين:

الأُولى: عالميّتها وشموليّتها.

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

أمّا الاولى: فمعناها أنّ دعوتَها عالمية لا تنحصر بإقليم معيّن وهى من أبرز الملامح التى يستهدفها القرآن فى دعوته ورسالته.

يقول سبحانه: «تباركَ الَّذى نزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِه ليكونَ للعالمينَ نَذيرا» (الفرقان/ ۱).

ص:۸

ويقول أيضاً: «وما أرسلناك إلّاكافّةً للنّاسِ بَشيراً ونَذيراً ولكنَّ أكثر النّاسِ لا يَعلَمون» (سبأ/ ۲۸).

وقال سبحانه: «قُلْ يا أيُّها النّاسُ إنِّى رَسولُ اللَّهِ إلَيكُمْ جَميعاً ...» (الأعراف/ ۱۵۸).

لقد بعثَ الرسولُ الأعظمصلى الله عليه و آله سفراءَه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها وبيد كلّ واحد منهم كتاب يعبِّر عن عالمية دعوته، فقد بعثَ إلى قيصر الروم، وكسرى فارس وعظيم القبط وملك الحبشة، والحارث بن أبى شمر الغسّانى ملك تخوم الشام وحوزة بن على الحنفى ملك اليمامة، وغيرهم من ملوك العرب وشيوخ القبائل والأساقفة، والمرازبة، والعمّال، وهذه المواثيق أوضح دليل على أنّ رسالته عالمية لا تحدُّ بحد، بل تجعل الأرض كلها ساحة لإشاعة دينه وتطبيق شريعته.

هذا والبراهين على عالمية دعوته كثيرة لا مجال لذكرها.

نعم ربما قد تظهر بعض المغالطات من النصارى القدامى فى هذه النقطة؛ حيث حاولوا تحجيم أمر الرسالة وتخصيصها بمكان وعنصر خاصَّين، وليست شبهاتهم قابلة للذكر.

كيف وبيانات القرآن وخطاباته للبشر كافة ومواثيق الرسول ودعواته المتجاوزة حدود الجزيرة العربية، واجتياح جيوش

ص:۹

المسلمين ورجالهم أرض غير العرب واستقرار الامة الإسلامية فى أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أبطلت هذه المغالطات وجعلتها فى مدحرة البطلان ولذلك نعود إلى الملمح الثانى من ملامح الشريعة الإسلامية، فى بحثنا وهو خاتميتها تعنى:

أنّها آخر الشرائع وأنّ المبعوث بها، هو خاتم الأنبياء فشريعته خاتمة الشرائع، وهذا ما نحاول دراسته فى هذه الرسالة ونستدل عليه عن طريق الكتاب والسنّة ونحلّل الإشكالات المثارة حوله كل ذلك فى ضمن فصولٍ.

ص:۱۰

الفصل الأول الخاتمية فى الذكر الحكيم

اشارة

اتفقت الأُمـة الإسـلاميةـ عن بكرة أبيهـاـ على أنّ نبيّهم محمـداً خاتم النبيّين، وأنّ دينه خاتم الأديان، وكتابه خاتم الكتب والصـحف، فهوصلى الله عليه و آله آخر السفراء الإلهيين، أُوصد به باب الرسالة والنبوة، وختمت به رسالة السماء إلى الأرض.

لقد اتّفق المسلمون كافة على أنّ دين نبيّهم، دين اللّه الأبدى، وكتابه، كتاب اللّه الخالد ودستوره الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد أنهى اللّه إليه كلّ تشريع وأودع فيه أُصول كلّ رقى، وأناط به كل سعادة ورخاء، فاكتملت بدينه وكتابه

ص:۱۱

الشرائع السماوية التى هى رسالة السماء إلى الأرض.

توضيحه: أنّ الشريعة الإلهية الحقّة التى أنزلها اللّه تعالى إلى أوّل سفرائه لا تفترق جوهراً عمّا أنزله على آخرهم، بل كانت الشريعة السماوية فى بدء أمرها كنواة قابلة للنموّ والنشوء، فأخذت تنمو وتستكمل عبر القرون والأجيال، حسب تطور الزمان وتكامل الأُمم، وتسرّب الحصافة إلى عقولهم، وتسلّل الحضارة إلى حياتهم.

ويفصح عمّا ذكرنا قوله سبحانه: «شرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً ...» (الشورى/ ۱۳) فقد وصّى نبينا محمداً بما وصّى به نوحاً، من توحيده سبحانه وتنزيهه عن الشرك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والتنديد بالجرائم الخلقية، والقضاء على أسبابها، إلى غير ذلك ممّا تجده فى صحف الأوّلين والآخرين.

وتتجلى تلك الحقيقة الناصعة، أى وحدة الشرائع السماوية، جوهراً من مختلف الآيات فى شتى المواضع، قال سبحانه: «إنَّ الدِّين عِندَ اللَّهِ الإسلامُ ومَا اختلَفَ الَّذينَ أُتُوا الكِتابَ إلّامِنْ بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغياً بَينَهُمْ» (آل عمران/ ۱۹) وظاهر الآية يعطى أنّ الدين عند اللّه- لم يزل ولن يزال- هو الإسلام فى طول القرون والأجيال، ويعاضدها قوله تعالى: «ومَنْ يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ

ص:۱۲

مِنـهُ» (آل عمران/ ۸۵). وقـال سـبحانه فى مـورد آخر مخطّئـاً مزعمـة اليهـود والنصـارى فى رَمى- بطـل التوحيـد- إبراهيـم بـاليهودية والنصرانية قال: «وما كانَ إبراهيمُ يَهودياً ولا نَصرانياًولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلِماً وما كانَ منَ المُشرِكينَ» (آل عمران/ ۶۷).

فحقيقة الشرائع السماوية فى جميع الأدوار والأجيال كانت أمراً واحداً وهو التسليم فى فرائضه وعزائمه وحده.

ولأجل ذلك كتب الرسول إلى قيصر عندما دعاه إلى الإسلام، قوله سبحانه: «قُلْ يا أهلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينَكُمْ ألّا نَعبُدَ إلّااللَّهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئاً ولا يتَّخِذَ بَعضُنا بَعضاً أرباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فإنْ تَولَّوْا فَقولُوا اشهَدُوا بأنّا مُسلِمُون» «(۱)».

وقد أمر سبحانه فى آية أُخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو الناس جميعاً إلى اتباع ملّة إبراهيم قال سبحانه: «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ منَ المُشرِكين» (آل عمران/ ۹۵).

وصرّح سبحانه بأنّ كلّ نبيّ جاء عقب نبيّ آخر، كانَ يصرِّح بأنّه مصدِّق بوجود النبيّ المتقدم عليه وكتابه ودينه، فالمسيح مصدّق لما بين يـديه من التوراة ومحمدصـلى الله عليه و آله مصـدّق لمـا بين يـديه من الكتب وكتـابه مهيمن عليه، كما قال سـبحانه: «وَقفَّينا عَلى آثارِهِمْ

۱- السيرة الحلبية ج ۲: ص ۲۷۵، مسند أحمد ج ۱: ص ۲۶۲.

ص:۱۳

بِعِيسَى ابنِ مَريمَ مُصدِّقاً لِما بَينَ يَديهِ منَ التَّوراة»، «وأنْزَلْنا إليكَ الكتابَ بِالحقِّ مُصدِّقاً لِما بَينَ يَدَيهِ منَ الكتابِ ومُهَيمناً عَليهِ» (المائدة/ ۴۶، ۴۸).

وهذه النصوص كلّها تعبّر عن وحدة أُصول الشرائع وجذورها ولبابها.

وعلى هـذه فرسالـة السـماء إلى الأرض، رسالة واحدة فى الحقيقة مقولة بالتشـكيك، متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال الأجيال وكلّهم يحملون إلى المجتمع البشرى رسالة واحدة لتصعد بهم إلى مدارج الكمال، وتهديهم إلى معالم الهداية ومكارم الأخلاق.

نعم كان البشـر فى أوليات حياتهم يعيشون فى غايـة البساطـة والسذاجـة، فما كانت لهم دولة تسوسـهم، ولا مجتمع يخدمهم ولا ذرائع تربطهم، وكانت أواصـر الوحـدة ووشائـج الارتباط بينهم ضـعيفة جـداً، فلأجل ذاك القصور فى العقل، وقلـة التقـدم، وضـعف الرقى، كانت تعاليم أنبيائهم، والأحكام المشـروعة لهم، طفيفـة فى غايـة البساطـة، فلما أخـذت الإنسانية بالتقدم والرقى، وكثرت المسائل يوماً فيوماً، اتسع نطاق الشريعة واكتملت الأحكام تلو هذه الأحوال والتطورات.

ص:۱۴

فهـذه الشـرائع (مع اختلافها فى بعض الفروع والأحكام نظراً إلى الأحوال الأُممية والشؤون الجغرافية) لا تختلف فى أُصولها ولبابها، بل كلها تهدف إلى أمر واحد، وتسوق المجتمع إلى هدف مفرد، والاختلاف إنّما هو فى الشـريعة والمنهاج لا فى المقاصد والغايات كما قال سبحانه: «لِكلٍّ جَعلْنا مِنكُم شِرعةً ومِنهاجاً ولَوْ شاءَ اللَّهُ لَجعلَكُمْ أُمةً واحدةً ولكنْ لِيبلُوَكُمْ فى ما آتاكُمْ فَاستَبِقُوا الخَيراتِ» (المائدة/ ۴۸) «(۱)».

وقال سبحانه: «ثُمّ جَعلناكَ عَلى شَريعةٍ مِنَ الأمرِ فاتَّبِعْها ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذينَ لا يَعلَمون» (الجاثية/ ۱۸).

وخلاصة القول: أنّ السـنن مختلفة، فللتوراة شـريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة ولكن الدين هو الأُصول والعقائد والأحكام التى تساير الفطرة الأنسانية ولا تخالفها، واحدة منها.

وهاتان الآيتان لا تهدفان إلى اختلاف الشرائع فى جميع موادها، ومواردها اختلافاً كلّياً بحيث يكون من النسبة بينها نسبة التباين، كيف وهو سبحانه يأمر نبيَّه بالاقتداء بهدى أنبيائه

۱- أى جعلنا لكلٍّ من موسـى وعيسـى ومحمد عليهم السـلام أو لكلٍّ من أُمم التوراة والإنجيل والقرآن شريعة وطريقاً خاصاً إلى ما هو الهـدف الأقصـى من بعث الرسـل ومنهاجـاً واضـحاً، والاختلاف بين الكتب والشـرائع جزئى لا كلّى، والنسـخ فى بعض الأحكام لا فى جميعها

ص:۱۵

السالفين ويقول: «أُولئِكَ الَّذينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ» (الأنعام/ ۹۰).

نعم جاءت الرسل تترى، وتواصلت حلقات النبوّة فى الأدوار الماضية إلى أن بعث اللَّه آخر سفرائه فأتمّ نعمته وأكمل به دينه، فأصبح المجتمع البشرى فى ظلّ دينه الكامل، وكتابه الجامع، غنياً عن تواصل الرسالة وتعاقب النبوّة، وأصبح البشر غير محتاجين إلى إرسال أىّ رسول بعده، إذ جاء الرسول بأكمل الشرائع وأتقنها وأجمعها للحقوق وبكل ما يحتاج إليه البشر فى أدوار حياتهم وأنواع تطوراتهم وفى الوقت نفسه فيها مرونة تتمشى مع جميع الأزمنة والأجيال، من دون أن تمسّ جوهرَ الرسالة الأصلى بتحوير وتحريف. وإليك أدلّة خاتميته من الكتاب أولًا، والسنّة ثانياً، أمّا الكتاب ففيه نصوص:

النص الأول:

اشارة

قوله سبحانه: «ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ ولكنْ رَسولَ اللَّهِ وخاتَمَ النبيّينَ وكانَ اللَّهُ بِكلِّ شَىءٍ عَليما» (الأحزاب/ ۴۰).

توضيح الآية: تبنّى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله زيداً قبل عصر الرسالة وكانت العرب يُنزِّلون الأدعياء منزلة الأبناء فى أحكام الزواج

ص:۱۶

والميراث فأراد اللَّه سبحانه أن ينْسخ تلك السّنّة الجاهلية، فأمر رسوله أن يتزوج زينب زوجة زيدٍ بعد مفارقته لها فلما تزوّجها رسول اللَّه أوجد ذلك ضجة بين المنافقين والمتوغّلين فى النزعات الجاهلية والمنساقين وراءها، فردّ اللَّه سبحانه مزاعمهم بقوله «ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ» من الذين لم يلدهم ومنهم زيد «ولكن رَسولَ اللَّهِ» وهو لايترك ما أمره اللَّه به «وخاتَمَ النبيّينَ» وآخرهم خُتِمت به النبوّةُ فلا نبىّ بعده ولا شريعة بعد شريعته، فنبوّته أبدية وشريعته باقية إلى يوم الدين.

الخاتم وما يراد منه:

لقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأول: بفتح التاء وعليه قراءة عاصم ويكون بمعنى الطابع الذى تختم به الرسائل والمواثيق فكان النبىّ الأكرمصلى الله عليه و آله بالنسبة إلى باب النبوة كالطابَع، ختم به باب النبوة واوصِدَ واغْلِقَ فلا يفتح أبدا.

الثانى: بكسر التاء وعليه يكون اسم فاعل أى الذى يختم باب النبوة وعلى كلتا القراءتين فالآيةصريحة على أنّ باب النبوة أو بعث الأنبياء خُتم بمجىء النبىّ الأكرمصلى الله عليه و آله.

ص:۱۷

قال أبو محمد الدميرى:

والخاتِم الفاعلُ قُل بالكسر وما به يُختم فتحاً يجرى

وأنت إذا راجعت التفاسير المؤلّفة منذ العصور الأُولى إلى يومنا هذا ترى أنّ عامة المفسرين يفسرونها بما ذكرنا ويصرحون بأنّ وصفهصلّى اللَّه عليه وآله وتشبيهه بالخاتم (بالفتح) لأنّه كان الرسم الدائر بين العرب هو ختم الرسالات بخاتمهم الذى بين أصابعهم، فكانت خواتيمهم طوابَعهم فكانَّ النبىّ الأكرم بين الأنبياء هو الخاتم ختم به باب النبوات، ولك أن تستلهم هذا المعنى من الآيات الكثيرة التى وردت فيها مادة تلك الكلمة، فترى أنّ جميعها يفيد هذا المعنى.

كالآيات التالية:

۱-/ قال سبحانه: «يُسقَونَ مِنْ رَحيقٍ مَختُوم» (المطففين/ ۲۵) أى مختوم بابه بشىء مثل الشمع وغيره دليلًا على خلوصه.

۲-/ وقال سبحانه: «خِتامُهُ مِسكٌ وفى ذلك فَلْيتنافَسِ المُتنافِسُونَ» (المطففين/ ۲۶) اى آخر شربه تفوح منه رائحة المسك.

۳-/ وقال سبحانه: «اليومَ نَختِمُ عَلى أفواهِهِمْ وتُكلِّمنا أيدِيهِمْ» (يس/ ۶۵) أى يطبع على أفواههم فتوصدُ، وتَتكلَّم أيديهم.

إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها مادة تلك الكلمة،

ص:۱۸

والکلّ یهدف إلی الانتهاء والانقطاع وفی مورد الآیة .. إنتهاء النبوة وانقطاعها.

النص الثانی:

قوله سبحانه: «تَبارکَ الَّذی نَزَّلَ الفُرقانَ علی عَبدِهِ لیکونَ لِلعالَمینَ نَذیرا» (الفرقان/ ۱).

والآیةصریحة فی أنّ الغایة من تنزیل القرآن علی عبده (النبیّ الأعظم)صلی الله علیه و آله کون القرآن نذیراً للعالمین من بدء نزوله إلی یوم یبعثون، من غیر فرق بین تفسیرها بالإنس والجن أو الناس أجمعهم، وإن کان الثانی هو المتعین، فانّ العالمین فی الذکر الحکیم جاء بهذا المعنی.

قال سبحانه حاکیاً عن لسان لوط: «قالَ إنَّ هؤلاءِ ضَیفی فلا تَفْضَحونِ* واتَّقوا اللَّهَ ولا تُخزونِ* قالوا أوَلَمْ نَنْهَکَ عَنِ العالَمین» (الحجر/ ۶۸-/ ۷۰).

فإنّ المراد من العالمین فی کلامهم هم الناس إذ لا معنی لأن ینهونه عن استضافة الجن والملائکة، ونظیره قوله سبحانه حاکیاً عن لسان لوط: «أتأتونَ الذُّکرانَ مِنَ العالَمین» (الشعراء/ ۱۶۵) فالمراد من العالمین فی کلتا الآیتین هم الناس.

ص:۱۹

وبـذلك يعلم قوة مـا روى عن الإمام الصادق عليه السـلام من أنّ العالمين عنى به الناس وجعل كل واحـد عالما، ولا يعـدل عن ذلك الظاهر إلّا بقرينـة وبما أنّه لا قرينـة على العـدول من الظاهر فيكون معنى قوله: «ليكونَ لِلعالَمينَ نَذيرا» أى نذيراً للناس أجمعهم من يوم نزوله إلى يوم يبعثون.

النص الثالث:

قوله سبحانه: «إنَّ الَّذينَ كَفروا بالذِّكرِ لما جاءَهُمْ وإنَّهُ لَكتابٌ عزيزٌ* لا يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بينِ يَديهِ ولا مِنْ خَلفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميد» (فصلت/ ۴۱-/ ۴۲).

وجه الدلالـة على الخاتميـة، أنّ المراد من الـذكر هو القرآن بقرينـة قوله سبحانه: «ذلكَ نتلُوه عليكَ منَ الآياتِ والذِّكرِ الحَكيمِ» (آل عمران/ ۵۸).

والضـمير فى «لا- يـأتيه» يرجع إلى الـذكر ومفـاد الآيـة أنّ الباطـل لا يتطرق إليه ولا يجـد إليه سبيلًا من أىّ جهـة من الجهات، فلا يأتيه الباطل بأيّةصورة متصورة، ودونكصوره.

۱- «لا يأتيه الباطل أى لا ينقص منه شىء ولا يزيد عليه شىء».

ص:۲۰

۲- «لا يأتيه الباطل: أى لا يأتيه كتاب يبطله وينسخه وأن يجعله سُدى فهو حقّ ثابت لا يبدّل ولا يغيّر ولا يترك».

۳- «لا يأتيه الباطل: لا يتطرق الباطل فى إخباره عمّا مضى ولا فى إخباره بما يجىء، فكلها تطابق الواقع».

وحاصل الآية، أنّ القرآن حق لا يداخله الباطل إلى يوم القيامة، فإذا كان حقاً مطلقاً مصوناً عن تسلل البطلان إليه ومتبعاً للناس إلى يوم القيامة يجب عند ذلك دوام رسالته وثبات نبوته وخاتمية شريعته.

وبتعبير آخر أنّ الشريعة الجديدة إمّا أن تكون عين الشريعة الإسلامية الحقّة أو غيرها، فعلى الأول لا حاجة إلى الثانية، وعلى الثانى: فإمّا أن تكون الثانية حقّة كالأُولى فيلزم كون المتناقضين حقاً أو أن تكون الأُولى حقاً دون الأُخرى وهذا هو المطلوب، وشريعة الرسول الأعظم جزءٌ من الكتاب الحق الذى لا يدانيه الباطل وسنّته المحكمة التى لا تصدر إلّابإيحاء منه كما قال تعالى «وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى* إنْ هُوَ إلّاوَحىٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى» (النجم/ ۳-/ ۵) فالآيةصريحة فى نفى أىّ تشريع بعد القرآن وأيّة شريعة بعد الإسلام، فتدلّ بالملازمة على عدم النبوة التشريعية بعد نبوته.

ص:۲۱

النص الرابع:

قوله سبحانه: «قُلْ أیُّ شَیءٍ أکبرُ شهادةً قُلِ اللَّهُ شَهیدٌ بَینی وبینَکُمْ وَاوحیَ إلیَّ هذا القُرآنُ لأُنذرَکُمْ بهِ ومَنْ بَلَغ ...» (الأنعام/ ۱۹).

وظاهر الآیـة: أنّ الغایـة من نزول القرآن تحـذیر من بلغه إلی یوم القیامـة وبـذلک یُفسّـر قوله سـبحانه فی آیة اخری: «وکذلکَ أوحینا إلیکَ قُرآناً عَربیاً لِتُنذِرَ امَّ القُری ومَنْ حَولَها ...» (الشوری/ ۷).

فـإنّ المراد «ومَن حولها» جمیع أقطار المعمورة، وعلی فرض انصـرافها عن هـذا المعنی العام فلا مفهوم للآیـة بعـد ورود قوله سـبحانه: «لأُنذرکُمْ بهِ ومَنْ بَلَغ».

النص الخامس:

قوله سبحانه «وما أرسلناکَ إلّاکافةً للنّاسِ بَشیراً ونذیراً ولکنَّ أکثرَ النّاسِ لا یعلَمون» (سبأ/ ۲۸).

والمتبادر من الآیة کون «کافّة» حالًا من الناس قُدّمتْ علی ذیها وتقدیر الآیة وما أرسلناک إلّاللناس کافة بشیراً ونذیراً.

وإلیک محصّل الآیات الخمس:

أمّا الأُولی فهو: أنّ باب الإخبار عن السماء الذی کان هو النبوة

ص:۲۲

قـد اوصد وبإى صاده تكون النبوّة مختومة وبختمها تكون الشـريعة المحمدية أبديّة لأنّ تجديد الشـريعة فرع فتح باب النبوة، فإذا كان التنبؤ بإخبار السماء مغلقاً فلا يمكن الإخبار عن السماء بوجه من الوجوه ومنها نسخ الشريعة.

وأمّا الآيات الأربع الباقيـة فهيصـريحة ببقاء الشـريعة الإسـلامية بعموميتها، فمجموع الآيات يركِّز على أمر واحـد: غلق باب النبوة وأبدية الشريعة الإسلامية.

هذه هى النصوص، ومع ذلك ففى القرآن إشارات إلى الخاتمية بعناوين أُخرى نشير إلى بعض منها:

الأُولى: «أفغيرَ اللَّهِ أبتغى حَكَماً وهوَ الَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ فَلا تكونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ* وتَمَّتْ كَلِمةُ ربِّكَصِدْقاً وَعدْلًا لا مُبدِّلَ لِكلماتِهِ وهوَ السَّميعُ العَليمُ» (الأنعام/ ۱۱۴-/ ۱۱۵).

إنّ دلالـة قوله سـبحانه «وتمّت كلمـةُ رَبِّك ...» على إيصـاد باب الوحى إلى يوم القيامـة واضـحة بعـد الوقوف على معنى الكلمـة، فإنّ المراد منها الدعوة الإسلامية، أو القرآن الكريم وما فيه من شرائع وأحكام والشاهد عليها الآية المتقدمة حيث قال سبحانه:

«وهوَالَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ

ص:۲۳

يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّکَ بِالحقِّ» فالمراد من قوله «أنزلَ إلَيکُمُ الکتابَ» هو القرآن النازل على العالمين، ثم يقول: بأنّ الـذين آتيناهم الكتاب من قبل كاليهود والنصارى إذا تخلّصوا من الهوى يعلمون أنّ القرآن وحى إلهى كالتوراة والإنجيل، وانّه منزلٌ من اللَّه سبحانه بالحق، فلا يصح لأىّ منصف أن يتردّد فى كونه نازلًا منه إلى هداية الناس.

ثم يقول فى الآية التالية: «وتمّت كلمةُ ربِّکَ» بظهور الدعوة المحمدية، ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب وصارت مستقرة فى محلّها بعدما كانت تسير دهراً طويلًا فى مدارج التدرّج بنبوة بعد نبوّة وشريعة بعد شريعة «(۱)».

وهـذه الكلمة الإلهية- أعنى الدعوة الإلهية المستوحاة فى القرآن الكريم-صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأحكام من الأمر والنهى، عدل لا يخالطه ظلم، ولأجل تلك التمامية لاتتبدل كلماته وأحكامه من بعد «(۲)».

هذه نظرة إلى القرآن حول الخاتمية ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع التفاسير، وكما أنّ الكتاب الحكيم اهتمّ

۱- الطباطبائى، الميزان ۷: ۳۳۸، الطبرسى، مجمع البيان ۲: ۳۵۴.

۲- وقد استعملت الكلمات فى القرآن الكريم فى الشرائع الإلهية قال سبحانه واصفاً مريم:« وَصدَّقتْ بِكلماتِ ربِّها وكُتُبِهِ ...» التحريم: ۱۲.

ص:۲۴

بالخاتمیـة، فهکـذا اهتمت بها السـنّة النبویة وروایات العترة الطاهرة ولو حاولنا أن نذکر ما وقفنا علیه فی ذلک المجال من المآثر لطال موقفنا مع القراء ولذلک نقتصر علی اثنتی عشرة روایة مع أنّ المأثور یتجاوز المائة.

ص:۲۵

الفصل الثانی الخاتمیهٔ فی الأحادیث النبویهٔ

اشارهٔ

لقد حصحص الحقّ بما أوردناه من النصوص القرآنیهٔ وانکشف الریب عن مُحیّا الواقع فلم تبق لمجادلٍ شبههٔ فی أنّ الرسول فی الذکر الحکیم خاتم النبیین وشریعته خاتمهٔ الشرائع وکتابَه خاتم الکتب.

وقد وردت الخاتمیهٔ علی لسان النبیّ الأکرم، نذکر منها ما یأتی:

۱- خرج رسول اللّه صلی الله علیه و آله من المدینهٔ إلی غزوهٔ تبوک وخرج الناس معه فقال علی علیه السلام: أخرج معک؟ فقال: لا، فبکی علیّ فقال له رسول اللّهصلی الله علیه و آله: «أما ترضی أن تکون منّی بمنزلهٔ هارون من

ص:۲۶

موسی إلّاأنّه لا نبیّ بعدی أو لیس بعدی نبیّ ولا ینبغی أن أذهب إلّا وأنت خلیفتی».

والحدیث علی لسان المحدّثین حدیث المنزلة لأنّ النبیّ نزل فیه نفسه منزلة موسی ونزل علیّاً مکان هارون، أخرجه البخاری فیصحیحه فی غزوة تبوک، ومسلم فیصحیحه فی باب فضائل علی علیه السلام، وابن ماجة فی سننه فی باب فضائل أصحاب النبیّ، والحاکم فی مستدرکه فی مناقب علی علیه السلام وإمام الحنابلة فی مسنده بطرق کثیرة «(۱)».

ووضوح دلالة الحدیث علی الخاتمیة بمکان أغنانا عن البحث حولها.

۲- قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «مَثَلی ومَثل الأنبیاء کمَثل رجلٍ بنی داراً فأتمّها وأکملها إلّاموضع لبنة» فجعل الناس یدخلونها ویتعجّبون منها ویقولون لو لا موضع هذه اللّبنة، قال رسول اللّه:

«فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبیاء». أخرجه البخاری ومسلم والترمذی «(۲)».

۱- البخاری، الصحیح ۳: ۵۸، مسلم، الصحیح ۲: ۳۲۳، ابن ماجة، السنن ۱: ۲۸، الحاکم، المستدرک ۳: ۱۰۹، أحمد بن حنبل، المسند ۱: ۳۲۱، و ۲: ۳۶۹، ۴۳۷.

۲- منصور علی ناصف، التاج الجامع للأُصول ۳: ۲۲ والکتاب یجمع أحادیث الخمسة إلّاابن ماجة.

ص:۲۷

۳- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لی خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، أنا الماحی یمحو اللَّه بی الکفر، وأنا الحاشر، یحشر الناس علی قدمی، وأنا العاقب الذی لیس بعده نبی» «(۱)».

۴- قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «أنا قائد المرسلین ولا فخر، وأنا خاتم النبیین ولا فخر، وأنا أوّل شافع ومشفع ولا فخر» «(۲)».

۵- قال النبی صلی الله علیه و آله: یا علی أخصمک بالنبوّة فلا نبوة بعدی وتخصم الناس بسبع ولا یجاحدک فیها أحد من قریش، أنت أوّلهم إیماناً باللَّه» «(۳)».

۶- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت ولا رسولَ بعدی ولا نبیّ» قال: فشق ذلک علی الناس فقال: «ولکن المبشرات» فقالوا: یا رسول اللَّه وما المبشرات؟ فقال: «رؤیا المسلم وهی جزء من أجزاء النبوة» «(۴)».

۷- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «ارسلتُ إلی الناس کافّة وبی خُتم النبیون» «(۵)».

۱- مسلم، الصحیح ۸: ۸۹، مسند أحمد ۴: ۸۱ و ۸۴، ابن سعد، الطبقات الکبری ۱: ۶۵.

۲- الدارمی، السنن ۱: ۲۷.

۳- أبو نعیم الاصفهانی، حلیة الأولیاء ۱: ۶۶.

۴- الترمذی، السنن ۳: ۳۶۴.

۵- الإمام أحمد، المسند ۲: ۴۱۲، ابن سعد، الطبقات ۱: ۱۲۸.

ص:۲۸

۸- قال النبی صلی الله علیه و آله: «کنت أوّل الناس فی الخلق وآخرهم فی البعث» «(۱)».

۹- استأذن العباس بن عبد المطلب النبیّ فی الهجرة فقال له:

«یا عم أقم مکانک الذی أنت فیه فإنّ اللّه تعالی یختم بک الهجرة کما ختم بی النبوة» ثم هاجر إلی النبی وشهد معه فتح مکة وانقطعت الهجرة «(۲)».

۱۰- قالصلی الله علیه و آله: «یکون فی امتی ثلاثون کذّاباً، کلّهم یزعم أنّه نبیّ وأنا خاتم النبیین، لا نبیّ بعدی» «(۳)».

۱۱- قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «فُضِّلتُ بستٍّ: اعطیتُ جوامعَ الکلم، ونُصِرتُ بالرعب، وأُحلّت لی الغنائم، وجُعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، وارسلت إلی الخلق کافة وختم بی النبیون» «(۴)».

۱۲- روی الإمام أبو جعفر الباقر علیه السلام عن النبیصلی الله علیه و آله أنه قال:

قال النبی صلی الله علیه و آله: «یا أیّها الناس إنّه لا نبیّ بعدی ولا سنّة بعد سنتی،

۱- ابن سعد، الطبقات الکبری ۱: ۹۶، القندوزی، ینابیع المودة: ۱۷ وفیه أول الأنبیاء فی الخلق.

۲- الجزری، اسد الغابة ۳: ۱۱۰.

۳- الجزری، عن الترمذی، الجامع للأُصول ۱۰: ۴۱۰.

۴- السیوطی، الجامع الصغیر ۲: ۱۲۶.

ص:۲۹

فمن ادّعی ذلک فدعواه وبدعته فی النار فاقتلوه ومن تبعه فانّه فی النار» «(۱)».

الخاتمیة فی أحادیث العترة الطاهرة

قد روی عن النبیّ الأکرمصلی الله علیه و آله أحادیث اخر فی مجال کونه خاتماً غیر أنّ ذکر الجمیع غیر میسور لنا، واردف البحث بما روی عن عترته الطاهرة علیهم السلام فی هذا المجال، ونقتصر علی القلیل من الکثیر، فإنّ المروی عنه فی ذلک المجال متوفر جداً.

۱- قال الإمام علیّ علیه السلام: إلی أن بَعثَ اللّه محمداًصلی الله علیه و آله لإنجاز عدته وإتمام نبوته، مأخوذاً علی النبیین میثاقه، مشهورة سماتُه، کریماً میلادُه «(۲)».

۲- قال الإمام علیّ علیه السلام: إجعل شریفصلواتک ونامی برکاتک علی محمدصلی الله علیه و آله عبدک ورسولک الخاتم لما سبق «(۳)».

۳- وقال علیه السلام: أرسله علی حین فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفا به الرسلَ وختَم به الوحی «(۴)».

۴- قال علیه السلام وهو یلی غسل رسول اللّهصلی الله علیه و آله وتجهیزه: بأبی أنت

۱- الصدوق، الفقیه ۴: ۱۶۳.

۲- نهج البلاغة، الخطبة: ۱.

۳- نهج البلاغة، الخطبة: ۶۹.

۴- نهج البلاغة، الخطبة: ۱۲۹.

ص:۳۰

وأُمی لقد انقطع بموتک مالم ینقطع بموت غیرک من النبوّة والأنباء وأخبار السماء، خصّصت حتیصِرتَ مسلّیاً عمّن سواک وعمّمتَ حتیصار الناس فیک سواء «(۱)». هذا وقد روی عن غیر الإمام علی علیه السلام من العترة الطاهرة ونذکر منهم ما یأتی:

۵- عن فاطمة الزهراء علیها السلام قالت: لمّا حملتُ بالحسن وولدته جاء النبی ثم هبط جبرئیل فقال: یا محمد! العلیّ الأعلی یقرؤک السلام ویقول علیٌّ مِنک بمنزلة هارون من موسی ولا نبیّ بعدک سَمّ ابنک هذا باسم ابن هارون «(۲)».

۶- وروی عن الحسن بن علی بن أبی طالب علیهم السلام قال: جاء نفر إلی رسول اللّه فقالوا: یا محمد إنّک الذی تزعم أنّک رسول اللّه وأنّک الذی یوحی إلیک کما أوحی اللّه إلی موسی بن عمران؟ فسکت النبیّ ساعة ثم قال: «أنا سیّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبیین، وإمام المتّقین ورسول ربّ العالمین» «(۳)».

۷- روی عن الحسین بن علی علیهما السلام أنّه قال لرسول اللّه:

فأخبرنی یا رسول اللّه هل یکون بعدک نبی؟ فقال: «لا، أنا خاتم النبیّین لکن یکون بعدی أئمة قوّامون بالقسط، بعدد نقباء بنی

۱- نهج البلاغة، الخطبة: ۲۳۵.

۲- الصدوق، عیون أخبار الرضا ۲: ۲۵.

۳- البحرانی، البرهان ۲: ۴۱.

ص:۳۱

إسرائیل» «(۱)».

۸- وقال الإمام السجّاد علیه السلام فی بعض أدعیته:صلّ علی محمد خاتم النبیین، وسید المرسلین وأهل بیته الطیبین الطاهرین وأعذْنا وأهالینا وإخواننا وجمیع المؤمنین والمؤمنات مما استعذنا منه «(۲)».

۹- وقال الإمام الباقر فی حدیث: وقد ختم اللَّه بکتابکم الکُتبَ وختم بنبیّکم الأنبیاءَ «(۳)».

۱۰- وقال الإمام الصادق علیه السلام: فکلّ نبی جاء بعد المسیح أخذ بشریعته ومنهاجه حتی جاء محمدصلی الله علیه و آله فجاء بالقرآن وبشریعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلی یوم القیامة وحرامه حرام إلی یوم القیامة «(۴)».

۱۱- وقال علیه السلام: بعث اللَّه سبحانه أنبیاءَه ورسلَه ونبیَّه محمداً، فأفضل الدین معرفة الرسل وولایتهم، وأخبرک أنّ اللَّه أحلّ حلالًا وحرّم حراماً إلی یوم القیامة «(۵)».

۱۲- روی زرارة قال: سألت أبا عبد اللَّه علیه السلام عن الحرام

۱- ابن شهر آشوب، المناقب ۲: ۳۰۰، الحر العاملی، إثبات الهداة ۲: ۵۴۴.

۲- الإمام السجاد، الصحیفة السجادیة، الدعاء: ۱۷.

۳- الکلینی، الکافی ۱: ۱۷۷، الفیض، الوافی ۲: ۱۹.

۴- الکلینی، الکافی ۲: ۱۷، البرقی، المحاسن: ۱۹۶.

۵- المجلسی، البحار ۲۴: ۲۸۸.

ص:۳۲

والحلال فقال: حلال محمد حلال أبداً إلی یوم القیامة لایکون غیره ولا یجیء غیره «(۱)».

۱۳- وقال الإمام موسی الکاظم علیه السلام: إذا وقفت علی قبر رسول اللّه فقل أشهد أن لا إله إلّااللّه وحده لا شریک له وأشهد أنّک خاتم النبیین «(۲)».

۱۴- وقال الإمام الرضا علیه السلام فی سؤال من سأله: ما بال القرآن، لا یزداد عند النشر والدراسة إلّاغضاضة؟ قال: لأنّ اللّه لم ینزّله لزمان دون زمان ولا لناسٍ دون ناس فهو فی کل زمانٍ جدید، وعند کل قوم غضّ إلی یوم القیامة «(۳)».

هذه أربعة عشر حدیثاً عن العترة الطاهرة، ولو أردنا أن نذکر ما وقفنا علیه لطال بنا المقام، غیر أنّ المهم طرح أسئلة حول الخاتمیة وتحلیلها بإیجاز.

۱- الکلینی، الکافی ۱: ۵۷.

۲- الصدوق، عیون أخبار الرضا ۲: ۸۷.

۳- الصدوق، عیون أخبار الرضا ۲: ۸۷.

ص:۳۳

الفصل الثالث أسئلة حول الخاتمية

اشارة

هناك أسئلة حول الخاتمية تثار بين آونة وأُخرى، وهي بين سؤال قرآني فلسفي وفقهي، ونكتفي من الأول بواحد من الأسئلة.

*** السؤال الأول: تنصيص القرآن على أنّ جميع أهل الشرائع ينالون ثواب اللَّه.

إنّ القرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين باللَّه وباليوم الآخر من جميع الشرائع سينالون ثواب اللَّه وأنّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومعنى ذلك أنّ جميع الشرائع السماوية تُحفَظ إلى جانب

ص:۳۴

الإسـلام، وأنّ أتباعها ناجون شأنُهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، وعلى ضوء هذا، فكيف تكون الشريعة الإسلامية واقعة فی آخر مسلسل الشرائع السماوية وكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟ وإليك ما يدل على ذلك حسب نظر السائل:

۱- قال سبحانه: «إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والنّصارى والصّابئينَ مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ وعَمِلَصالحاً فَلهُمْ أجرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ ولا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ» (البقرة/ ۶۲).

۲- «إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هـادُوا والصّـابئونَ والنّصـارى مَنْ آمنَ بـاللَّهِ واليومِ الآـخِرِ وعَمِلَصالحـاً فَلاـ خَوفٌ عَلَيهِمْ ولاـ هُمْ يَحزَنُونَ» (المائدة/ ۶۹).

۳- «إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هـادُوا والصّـابئينَ والنّصـارى والمجوسَ والَّذينَ أشـرَكوا إنَّ اللَّهَ يَفْصِـلُ بَينهُمْ يومَ القيامـةِ إنّ اللَّه على كلِّ شَيءٍ شَهيد» (الحج/ ۱۷).

إنّ اسـتنتاج بقاء شـرعية الشـرائع السـماوية من هـذه الآيات مبنيّ على غضّ النظر عمّا تهـدف إليه الآيات وذلك أنّ الآيات بصـدد ردّ مزاعم ثلاثة كانت اليهود تتبناها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثة الرسول الأكرمصلى الله عليه و آله. وهی:

ص:۳۵

۱- فكرة «الشعب المختار»:

كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين بل العالم بادّعائهم فكرة «الشعب المختار» بل إنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين: اليهود والنصارى، كانت تدّعى أنّها أرقى أنواع البشر، وكانت اليهود أكثرهم تمسّكاً بهذا الزعم وقد نقل عنهم سبحانه قولهم: «وقالَتِ اليَهودُ والنّصارى نحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ بَلْ أنتُمْ بَشَرٌ مِمَّن خَلَق ...» (المائدة/ ۱۸) واللَّه سبحانه يردّ هذا الزعم بكلّ قوة عندما يقول: «فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ»، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف حدّاً بالغاً وكأنّهم قد أخذوا على اللَّه عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم، حيث قالوا: «وقالُوا لَنْ تَمسَّنا النّارُ إلّاأياماً مَعدُودَةً» (البقرة/ ۸۰).

۲- الانتماء إلى اليهودية والنصرانية مفتاح الجنة:

قد كانت اليهود والنصارى تبنّان وراء فكرة: الشعب المختار، فكرة أُخرى، وهى: أنّ الجنة نصيب كل من ينتسب إلى بنى إسرائيل أو يُسمّى مسيحياً ليس إلّا، وكأنَّ الأسماء والانتساب مفاتيح للجنة، قال سبحانه ناقلًا عنهم: «وقالُوا لَنْ يَدخُلَ الجنَّةَ

ص:۳۶

مَنْ کانَ هُوداً أو نَصاری» (البقرهٔ/ ۱۱۱).

ولکنّ القرآن یرد علیهم ویقول: «تِلکَ أمانِیُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرهانَکُمْ إنْ کُنتُمْصادِقین* بَلی مَنْ أسلَمَ وَجهَهُ للَّهِ وهوَ مُحسنٌ فَلهُ أجرُهُ عندَ ربِّهِ ولاـ خوفٌ عَلَیهم ولاـ هُمْ یحزَنُون» (البقرهٔ/ ۱۱۱-/ ۱۱۲) فانّ قوله سبحانه «بَلی مَنْ أسلَمَ» یعنی الإیمان الخالص وقوله: «وهوَ مُحسنٌ» یعنی العمل وفق ذلک الإیمان وکلتا الجملتین تدلّان علی أنّ السبیل الوحید إلی النجاهٔ یوم القیامهٔ هو الإیمان والعمل لا الانتساب إلی الیهودیهٔ، والنصرانیهٔ، فلیست هی مسألهٔ الأسماء وإنّما هی مسألهٔ إیمانصادق وعملصالح.

۳- الهدایهٔ فی اعتناق الیهودیهٔ والنصرانیهٔ:

اشارهٔ

وهذا الزعم غیر الزعم الثانی، ففی الثانی کانوا یقتصرون فی النجاهٔ بالانتماء إلی الأسماء وفی الأخیر یتصوّرون أنّ الهدایهٔ الحقیقیهٔ تنحصر فی الاعتناق بالیهودیهٔ والنصرانیهٔ «وقالُوا کونُوا هُوداً أو نَصاری تَهتَدوا» (البقرهٔ/ ۱۳۵) والقرآن الکریم یردّ هذه الفکرهٔ کما سبق، ویقول انّ الهدایهٔ الحقیقیهٔ تنحصر فی الاقتداء بملّهٔ إبراهیم واعتناق مذهبه فی التّوحید الخالص الذی أمر الأنبیاء بإشاعته بین أُممهم، قال سبحانه «قُلْ بَلْ مِلَّهَ إبراهیمَ حَنیفاً وما کانَ مِنَ المُشرکین» (البقرهٔ/ ۱۳۵) وفی آیهٔ أُخری «ما کانَ إبراهیمُ یَهودیاً

ص:٣٧

ولا نَصرانياً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلماً وما كانَ مِنَ المُشركين» (آل عمران/ ۶۷).

نستخلص من كل هذه الآيات أنّ اليهودَ والمسيحيّين وبخاصة القدامى منهم كانوا يحاولون- بهذه الأفكار الواهية- التفوق على البشر، والتمرّد على تعاليم اللَّه، والتخلّص بصورة خاصة من الانضواء تحت لواء الإسلام، مرة بافتعال اكذوبة (الشعب المختار) الذى لا ينبغى أن يخضع لأىّ تكليف، ومرة أُخرى بافتعال خرافة (الأسماء والانتساب) وادّعاء النجاة بسبب ذلك والحصول على مغفرة اللَّه وجنّته وثوابه.

ومرّة ثالثة بتخصيص (الهداية) وحصرها فى الانتساب إلى إحدى الطائفتين بينما نجد أنّه كلّما مرّ القرآن على ذكر هذه المزاعم الخرافية أعلن بكلّصراحة وتأكيد: أنّه لافرق بين إنسان إلّا بتقوى اللَّه فإنّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم.

وأمّا النجاة والجنة فمن نصيب من يؤمن باللَّه، ويعمل بأوامره دونما نقصان لاغير، وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء.

بهذا البحث حول الآيات الثلاث (المذكورة فى مطلع البحث) نكشف بطلان الرأى القائل بأن الإسلام أقرّ- فى هذه الآيات- مبدأ (الوفاق الإسلامى المسيحى واليهودى) تمهيداً لإنكار عالمية

ص:٣٨

الرسالة الإسلامية وخاتميتها، بينما نجد أنّ غاية ما يتوخّاه القرآن- فى هذه الآيات- إنما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى وليعلن مكانه بأنّ النجاة إنما هى بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

فلا- استعلاء ولا- تفوّق لطائفة على غيرها من البشر مطلقاً، كما أنّ هذا التشبّث الفارغ بالأسماء والدعاوى ليس إلّامن نتائج العناد والاستكبار عن الحق.

فليست الأسماء ولا الانتساب هى التى تنجى أحداً فى العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح فى وجه كل إنسان يهودياً كان أو نصرانياً، مجوسياً أو غيرهم.

ويوضّح المراد من هذه الآية قوله سبحانه: «وَلو أنّ أهلَ الكِتابِ آمَنوا واتَّقَوا لَكفَّرنا عَنهمْ سَيِّئاتِهِمْ ولأدخلناهُمْ جَنّاتِ النَّعيم» (المائدة/ ۶۵).

فتصرح الآية بانفتاح هذا الباب بمصراعيه فى وجه البشر كافة من غير فرق بين جماعة دون جماعة حتى أنّ أهل الكتاب لو آمنوا بما آمن به المسلمون لقبلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم.

هذا هو كل ما كان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الآيات، وليس أىّ شىء آخر.

ص:٣٩

إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشرعية الشرائع بعد ظهوره ... وإنّما تدلّ على أنّ القرآن يحاول بها إبطال بعض المزاعم.

هذا كله حول السؤال القرآنى، وهناك أسئلة أُخرى جديرة بالذكر والتحليل، وإليك بيانها:

*** السؤال الثانى: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟

إنّ الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة الأركان فلا شريعة بعدها، ومع الاعتراف بذلك يطرح هذا السؤال:

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كانصاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة مَن قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا يبلِّغون شريعة موسى بين أقوامهم.

هب أنّه ختم باب النبوّة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوة التبليغية؟

والجواب عنه، غنى الأُمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوّة، وذلك بوجهين:

الوجه الأول: انّ النبى الأكرم ترك بين الأُمة الكتابَ والعترة وعرّفهما إليها، وقال: لن تضل الامة مادامت متمسّكة بهما.

ص:۴۰

فإذا كانت الهداية تكمن فى التمسك بهما فالامة الإسلامية فى غنى عن المهمة التبليغية إذ مهمتها موجّدة بالتمسك بهما فالعترة الطاهرة مشاعل الحق، ومنارات التوحيد، أغنت الأمة، علومُهم وتوجيهاتُهم عن بعث نبى يبلّغ رسالات اللّه، وهذا إجمال الكلام فى أئمة أهل البيت عليهم السلام والتفصيل موكول إلى محلّه.

الوجه الثانى: انّ علماء الأُمة المأمورين بالتبليغ بعد التفقه أغنوا الأُمة عن أىّ نبوّة تبليغية، قال سبحانه «فَلو لا نفَر مِنْ كُلِّ فِرقةٍ مِنهُمْ طائفةٌ لِيتفقَّهوا فى الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَومَهُمْ إذا رَجَعوا إلَيهم لَعلَّهم يَحذَرون» (التوبة/ ۱۲۲) وقال سبحانه «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمةٌ يَدعونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمَعرُوفِ وَينهَونَ عَنِ المُنكَرِ» (آل عمران/ ۱۰۴).

*** السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟

الجواب: انّ الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدات الروحية لم توصد بابها وإنّما أوصد باب خاص وهو باب النبوة الذى يحمل الوحى التشريعى أو التبليغى.

قال سبحانه: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهِم حتّى يتبيَّنَ لَهُمْ أنّهُ الحقُّ أوَلَمْ يَكفِ بِربِّكَ أنَّهُ على كُلِّ شىءٍ شَهيد» (فصلت/ ۵۳).

ص:۴۱

فالفتوحات الباطنیهٔ من المکاشفات والإلقاءات فی الروع غیر مسدودهٔ بنصّ الکتاب العزیز قال سبحانه «یا أَیُّها الَذینَ آمَنوا إن تَتَّقوا یجعلْ لَکُمْ فُرقانا» (الأنفال/ ۲۹) أی یجعل فی قلوبکم نوراً تفرّقون به بین الحقِّ والباطل وتمیّزون به بین الصحیح والزائف لا بالبرهنهٔ والاستلال بل بالشهود والمکاشفهٔ، قال سبحانه «یا أَیُّها الَّذینَ آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ وآمِنوا برسولِهِ یُؤْتِکُمْ کِفلَینِ مِنْ رَحمتهِ ویَجعلْ لَکُمْ نُوراً تَمشونَ بِهِ ویَغفرْ لَکُمْ واللَّهُ غَفورٌ رَحیم» (الحدید/ ۲۸).

وهناک آیات وروایات تدل بوضوح علی انفتاح هذا الباب فی وجه الإنسان، نکتفی بما ذکرناه.

*** السؤال الرابع: ادّعاء النقص فی التشریع الإسلامی.

کلّما تکاملت جوانب الحضارهٔ وتشابکت، وتعددت ألوانها، واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جدیدهٔ وطرحت علیه مشاکل طارئهٔ لا عهد للأزمنهٔ السابقهٔ بها، إذن فحاجهٔ المجتمع إلی قوانین وتشریعات جدیدهٔ لا تزال تتزاید کل یوم تبعاً لذلک، وما جاء به الرسول لا یجاوز قوانین محدودهٔ، فکیف تفی النصوص المحدودهٔ بالحوادث الطارئهٔ غیر المتناهیهٔ؟

الجواب: انّ خلود التشریع وبقاءه فی جمیع الأجیال ومسایرته

ص:۴۲

للحضارات الإنسانية، واستغناءه عن كل تشريع سواه، يتوقف على وجود أمرين فيه:

الأول: أن يكون التشريع ذا مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر معها علماء الامة والأخصّائيون منهم، على استنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع البشرى فى كلّ عصر من الأعصار.

الثانى: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق، مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال، وتساير الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامى كِلا الأمرين، أمّا الأول فقد أحرزه بتنفيذ أُمور:

الف- الاعتراف بحجية العقل فى مجالات خاصة:

إنّ من سمات التشريع الإسلامى التى يمتاز بها عن سائر التشريعات هى إدخال العقل فى دائرة التشريع والاعتراف بحجيته فى الموارد التى يصلح له التدخّل والقضاء فيها، فالعقل أحد الحجج الشرعيّة وفى مصاف المصادر الأُخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامى سعةً وانطلاقاً وشمولًا لما يتجدّد من الأحداث ولما يطرأ من الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

إنّ الملازمة بين حُكمى العقل والشرع (إنّه كلّما حكمَ بِهِ العقلُ

ص:۴۳

حكمَ بِه الشرع) ترفع كثيراً من المشاكل التى لم يرد فيها نص، فللعقل دور كبير فى استنباط كثير من الأحداث التى يصلح للعقل القضاء فيها ويقدر على إدراك حكم الشرع من حكم نفس العقل، وذلك فى الموارد التالية:

۱- القول بالملازمة بين وجوب المقدمة وذيها.

۲- القول بالملازمة بين حرمة الشيء ومقدمته.

۳- الحكم بالبراءة عند عدم النص.

۴- الحكم بالامتثال القطعى عند العلم الإجمالى.

۵- الحكم بالملازمة بين الحرمة وفساد العبادة.

۶- الحكم بالملازمة بين تعلّق النهى بنفس المعاملة وفسادها.

۷- الحكم بالاجزاء عند الامتثال وفق الأمر الاضطرارى.

۸- الحكم بالاجزاء عند الامتثال وفق الأمر الظاهرى.

۹- استكشاف الأمر الشرعى بالأهم عند التزاحم.

۱۰- استكشاف بطلان الصلاة عند اجتماع الأمر والنهى بتقديمه على الآمر.

إلى غير ذلك من الأحكام التى تعدّ من ثمرات القول بالتحسين والتقبيح العقليين، فمن عزل العقل عن الحكم فى ذلك المجال، فقد قصرت فكرته عن تقديم أىّ حلّ لهذه الأحكام وما ذكرناه نماذج لما للعقل من دور، وإلّا فالأحكام المستنبطة من العقل فى مجالات

ص:۴۴

مختلفة أكثر من ذلك.

ب- إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية:

إنّ من أمعن فى الكتاب والسنّة يقف على أنّ التشريع الإسلامى تابع لملاكات، فلا واجب إلّالمصلحة فى فعله ولا حرام إلّا لمفسدة فى اقترافه ويشهد بذلك كتاب اللّه فى موارد:

يقول سبحانه: «إنّما يُرِيدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بَينكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ فى الخمرِ والمَيسِرِ ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكرِ اللَّهِ وعنِ الصَّلاةِ فَهلْ أنتم مُنتَهون» (المائدة/ ۹۱) فالآية تعلّل حرمة الخبيثين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدهما عن ذكر اللّه، يقول سبحانه: «... وأقِمِ الصَّلاةَ إنّ الصَّلاة تَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ ...» (العنكبوت/ ۴۵).

إلى غير ذلك من الآيات التى تصرّح بملاكات الأحكام.

وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على أنّ الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر على بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يبح أكلًا ولا شرباً إلّالما فيه المنفعة والصلاح، ولم يحرّم إلّاما فيه الضرر والتلف والفساد» «(۱)».

۱- النورى، مستدرك الوسائل ۳: ۷۱.

ص:۴۵

وقال عليه السلام فى الدم: «إنّه يسىء الخلق ويورث القسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة ولايؤمن أن يقتل ولده ووالده» «(۱)».

وهـذا باقر العلوم وإمامها عليه السـلام يقول: «إنّ مـدمن الخمر كعابـد وثن، ويورثه الارتعاش، ويهـدم مروّته ويحمله إلى التجسّر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا» «(۲)».

وغيرها من النصوص المتضافرة عن أئمة الدين «(۳)».

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد فى الموضوع، فالغاية المتوخّاة من تشـريعها إنّما هى الوصول إليها، أو التحرّز عنها، وبما أنّ المصالح والمفاسد ليست على وزان واحد، بل رُبّ واجب يسوغ فى طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشـتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلًا، ورُبّ حرام ذى مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات.

ولأجل ذلك فقد عقد الفقهاء باباً خاصاً لتزاحم الأحكام وتصادمها فى بعض الموارد، فيقدّمون الأهم على المهم والأكثر

۱- المجلسى، بحار الأنوار ۶۲: ۱۶۵، الحديث ۳.

۲- المجلسى، بحار الأنوار ۶۲: ۱۶۴، الحديث ۲.

۳- راجع علل الشرائع للشيخ الصدوق فقد أورد فيه ما أثر عن النبى صلى الله عليه و آله والأئمة عليهم السلام فى بيان علل التشريع.

ص:۴۶

مصلحة على الأقل منها، والأعظم مفسدة على الأحقر منها، وهكذا ... ويتوصلون فى تمييز الأهم عن المهم، بالطرق والامارات التى تورث الاطمئنان، وباب التزاحم فى علم الأُصول غير التعارض فيه، ولكلٍّ أحكام.

وقد أعان فتح هذا الباب على حلّ كثير من المشاكل الاجتماعية التى ربما يتوهم الجاهل أنّها تعرقل خطى المسلمين فى معترك الحياة، وأنّها من المعضلات التى لاتنحل أبداً، ولنأت على ذلك بمثال وهو:

إنّه قد أصبح تشريح بدن الإنسان فى المختبرات من الضروريات الحيوية التى يتوقف عليه نظام الطب الحديث، فلا يتسنّى تعلّم الطب إلّابالتشريح والاطّلاع على خفايا الأمراض والأدوية.

غير أنّ هذه المصلحة، تصادمها مسألة احترام الإنسان حيّه وميّته، إلى حدّ أوجب الشارع الإسراع فى تغسيله وتكفينه وتجهيزه للدفن، ولا يجوز نبش قبره إذا دفن، ولا يجوز التمثيل به وتقطيع أعضائه، بل هو من المحرّمات الكبيرة التى لم يجوزها الشارع حتى بالنسبة إلى الكلب العقور، غير أنّ عناية الشارع بالصحة العامة وتقدم العلوم جعلته يسوّغ اقتراف هذا العمل لتلك الغاية، مقدماً بدن الكافر على المسلم والمسلم غير المعروف على المعروف منه، وهكذا ...

ص:۴۷

ج- التشريع الإسلامى ذو مادة حيوية:

إنّ التشريع الإسلامى فى مختلف الأبواب مشتمل على أُصول وقواعد عامة تفى باستنباط آلاف من الفروع التى يحتاج إليها المجتمع البشرى على امتداد القرون والأجيال.

أخرج الكلينى عن عمر بن قيس عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

سمعته يقول إنّ اللَّه تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمة إلّا أنزله فى كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شىء حدّاً وجعل عليه دليلًا يدلّ عليه وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّا.

روى الكلينى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام أنّه قال: ما من شىء إلّاوفيه كتاب أو سنّة «(۱)».

وقال الإمام الطاهر موسى الكاظم عليه السلام عندما سأله عن وجود كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيه قال مجيباً: بل كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيه «(۲)».

نعم تتجلّى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنّة رسول اللَّه المرويّة عن طريق أئمة أهل البيت، فقد حفظوا سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عندما كانت كتابة الحديث أمراً معرضاً عنه ولذلكصارت أدلّة الفقه الإسلامى متوسّعة كافلة لاستنباط الأحكام وبذلك أغنوا

۱- الكلينى ۱/ ۵۹-/ ۶۲ باب الردّ الى الكتاب والسنة.

۲- الكلينى ۱/ ۵۹-/ ۶۲ باب الردّ الى الكتاب والسنة.

ص:۴۸

الأُمة الإسلامية عن مقاييس ظنّية كالقياس والاستقراء وما لا دليل عليه من الكتاب والسنّة على وجه القطع واليقين.

إنّ الاكتفاء بما ورد عن النبى عن طريق الصحابة وعدم الرجوع إلى ما رواه أئمة أهل البيت عن جدّهم متسلسلًا كابر عن كابر لخسارة عظمى، فعلى المشغوف بتجديد حياة الإسلام وإغنائه عن أىّ تشريع غربىّ وشرقىّ وتجسيد الخاتمية فى مجال التشريع أن يجتاز الحدود التى ضربها الأمويون ومَن لفّ لفّهم بين الناس وأئمة أهل البيت عليهم السلام فعند ذلك ستنفتح آفاق من حديث الرسول مما يحتار اللبّ به، ويثير الحسرة لما فات الأُمة من التنوّر بنورهم فى القرون الماضية.

د- تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه:

ومما أضفى على التشريع الإسلامى خلوداً وغضاضة وشمولية وإغناءً عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيما تحتاج إليه الأُمة فى حياتها الفردية والاجتاعية، ومن أقفله فى الأدوار السابقة قطع الأُمة الإسلامية عن مواكبة التطور والحضارة ومِن ثَمَّ جعل التشريع الإسلامى ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الأُمة، وأمّا لزوم فتحه فهو أنّ الأُمة الإسلامية فى زمن تتوالى فيه الاختراعات والصناعات، وتتجدّد الأحداث التى لم يكن لها مثيل

ص:۴۹

فی عصر النبی ولا بعده، فهم أمام أحد أُمور:

۱- إمّا بذل الوسع فی استنباط أحکام الموضوعات الحدیثهٔ من الأُصول والقواعد الإسلامیهٔ.

۲- أو اتباع المبادئ الغربیهٔ من غیر نظر إلی مقاصد الشریعهٔ.

۳- والوقوف من غیر إعطاء حکم.

ومن المعلوم بطلان الثانی والثالث فیتعیّن الأول.

نعم لم یزل هـذا الباب مفتوحاً عند الشـیعهٔ بعد رحیلصاحب الرسالهٔ إلی یومنا هذا، وبذلک أنقذوا الشـریعهٔ من الانطماس وأغنوا الأُمهٔ الإسلامیهٔ عن التطلّع إلی موائد الغربیین.

وبما أنّ الاجتهاد الحر والخروج عن قید المذاهبصار واضح اللزوم نقتصر علی هذا المقدار.

ه- حقوق الحاکم الإسلامی أو ولایهٔ الفقیه:

من الأسـباب الباعثـهٔ علی بقاء الـدین وکونه مادهٔ حیویهٔصالحهٔ لحلّ المشاکل والمعضـلات الطارئهٔ، کون الحاکم الإسـلامی بعد النبیّ والأئمهٔ ممثّلًا لقیادتهم الحکیمهٔ فی أُمور الدین والدنیا، التی من شأنها أن توجّه المجتمع البشـری إلی أرقی المستویات الحضاریهٔ، فقد فتحت لمثل هذا الحاکم الصلاحیات المؤدّیهٔ إلی

ص:۵۰

حقّ التصرّف فى كلّ ما يراه ذا مصلحة للأُمة فى إطار القوانين العامة، لأنّه يتمتع بمثل ما يتمتع به النبىّ والإمام من النفوذ المطلق، إلّا ما كان من خصائص النبىّ والأئمة.

فبما أنّ المحققين أسهبوا الكلام فى معنى ولاية الفقيه اقتصرنا على هذا المقدار.

مرونة التشريع الإسلامى:

اشارة

لقد سبق الحديث عن أنّ استغناء التشريع الإسلامى عن كل تشريع سواه رهن أمرين:

الأول: إنّه ذو مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر على الإجابة ببيان حكم جميع الأحداث التالية والطارئة.

الثانى: النظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال وقد مرّ الكلام فى الأمر الأول وإليك الكلام حول الأمر الثانى.

إنّ الذى فتح للتشريع الإسلامى خلوداً وغناءً عن سائر التشريعات هو مرونة أحكامه التى تماشى جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بامور:

ص:۵۱

الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادة والروح:

إذا غالت المسيحية فى التوجّه إلى الناحية الروحية، فدعت إلى الرهبانية والتعزّب، أو غالت اليهودية فى الدعوة إلى ملاذّ الحياة والانكباب على المادة حتى نسيت كلّ قيمة روحية، فالإسلام دعا إلى المادية والمعنوية على وجه يطابق الفطرة الإنسانية وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام وشرع للإنسان ما يسعده فى الدنيا والآخرة على ما هو مذكور بالتفصيل فى محله.

الثانى: النظر إلى المعانى لا إلى الظواهر:

الإسلام ينظر إلى المعانى والحقائق لا الظاهر والقشور فيأمر بالأخذ باللبّ لا بالقشر وهذا هو السرّ فى خاتمية الدين الإسلامى وتمشّيه مع تطوّر الحياة، ولا يتوهّم من ذلك جواز التدخّل فى التشريع بحجة الأخذ باللبّ دون القشر، فإنّ الكبريات الواردة فى الكتاب والسنّة كلّها لبّ وأمّا القشر فإنّما يرجع إلى التخطيط والتجسيد.

وسيوافيك عند الإجابة على السؤال الخامس من أنّ الإسلام دعا الإنسان إلى الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ وأمّا الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى

ص:۵۲

مقتضيات العصور.

إنّ الذى يهتمّ به التشريع كون البيت مُقاماً على أرض غير مغصوبة ومن مال حلال بحيث يتمكّن المسلم من إقامة فرائضه عليها وحفظ كيانه، وقد أناط شكل البيت وهندسته إلى مقتضيات الظروف والمصالح وكذا الملابس ووسائل التعليم ابتداءً من الحفر على الصخر والجدران والكتابة على الجلود والقراطيس، إلى ابتكار وسائل إلكترونية متطوّرة لإنجاز الغرض، فمن أراد الحفاظ على الصور، فقد عرقل الأُمة الإسلامية عن التقدم وأثار مشاكل فى تطبيق الشريعة فى الأزمنة الحاضرة.

الثالث: الأحكام التى لها دور التحديد:

من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية تشريعه القوانين الخاصة التى لها دور التحديد والرقابة بالنسبة إلى عامة تشريعاته وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلة الحاكمة، لأجل حكومتها وتقدّمها على كل حكم ثبت لموضوع بما هو هو فهذه القوانين الحاكمة، تعطى لهذا الدين مرونة يماشى لبّها كل حضارة إنسانية، مثلًا: قوله سبحانه: «وما جعلَ عَليكُمْ فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...» (الحج/ ۷۸) حاكم على كلّ تشريع استلزم العمل به حرجاً، لا يتحمل عادة للمكلف فهو مرفوع، فى

ص:۵۳

الظروف الحرجة، ومثله قولهصلى الله عليه و آله «لا ضرر ولا ضرار» فكل حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً، فهو مرفوع فى تلك الشرائط، وقس عليهما غيرهما من القوانين الحاكمة.

نعم تشخيص الحاكم عن المحكوم، ومايرجع إلىالعمل بالحاكم من الشرائط، يحتاج إلى الدقّة والإمعان والتفقّه والاجتهاد، ومن رأينا أنّ الموضوع يحتاج إلى التبسّط أكثر من هذا، فإلى مجال آخر أيّها القارئ الكريم.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطورة.

إنّ مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً، ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أنّ المجتمع الإنسانى لم يزل فى تطوّرٍ وتغيّرٍ، فعند ذلك يُطْرح السؤال التالى:

كيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلّبات المجتمع المتغيّر، لأنّ من لوازم التغيّر والتطوّر، تغييرُ ما تسُود عليه من قوانين وتشريعات؟

هذا هو السؤال الذى يُطرح بين آونة واخرى، والإجابة عنه تتوقف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيّرها، وأنّ للثابت من جانب حياته تشريعاً ثابتاً، وللجانب المتغيّر منها

ص:۵۴

تشريعاً متغيّراً فالتشريع الثابت لما هو الثابت والمتغير لما هو المتغيّر، وإليك البيان:

الجانب الثابت من حياة الإنسان:

۱- إنّ للحياة الإنسانية جانبين: متغيّر وثابت، فالثابت منها عبارة عن الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التى لا تتغيّر ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً ولا يتسرّب التغيّر إليها.

فالإنسان الاجتماعى بماهو موجود ذو غرائز يحتاج لحفظ حياته وبقاء نفسه إلى العيش الاجتماعى والحياة العائلية، وهذان الأمران من أُسُس حياة الإنسان لا تفتأ تقوم عليهما حياته منذ وجوده إلى يومنا هذا.

فإذا كان التشريع الموضوع منسجماً ومتطلبات الغرائز ومعدِّلًا إياها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال فذلك التشريع يكون خالداً فى ظلّ خلود الغرائز.

۲- إنّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا ينكر فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كل الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف فلكلٍ من الرجل والمرأة متطلّب وفق تركيبه، فلو كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة، يكون

ص:۵۵

خالداً حسب خلود الفكرة والتركيب.

۳- الروابط العائلية كعلاقة الأب بولده وبالعكس، علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التوارث ولزوم التكريم ثابته لا تتغير بتغير الزمان.

إنّ السؤال مبنيّ على أنّ الإنسان بفطرته وتركيبه يقع فى مهبِّ التغيّر، والتطوّر، فلا يبقى منه شيء عبْر القرون، فكأنّ الإنسان الحالى غير الإنسان الغابر، مع أنّها فكرة باطلة، فلو كان هناك تغيّر فإنّما يعود هذا إلى غير الجانب الثابت من حياته.

۴- إنّ فى حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا- يتسرَّب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً، وجزاء الإحسان بالإحسان حسناً وبالسيّئ قبيحاً، والعمل بالميثاق حسناً ونقضه قبيحاً، إلى غيرها من القضايا الأخلاقية الثابتة فى حياة الإنسان. سواء أقلنا بأنّها أحكام فطرية نابعة من الخلقة أو قلنا انّ هناك عوامل عبر التاريخ رسخت هذه المفاهيم فى ذهن الإنسان، فإنّ الاختلاف فى جذور تلك المُثُل لا يضر بما نحن بصدده لأنّها على كل تقدير ثابتة فى حياة الإنسان، والتشريع الموضوع وفقها يتمتع بالثبات.

إنّ هناك موضوعات فى الحياة الإنسانية لم تزل ذات مصالح

ص:۵۶

ومفاسـد أبديـة، فما دام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل عقله والميسـر ينبت العـداوة فی المجتمع، والإباحـة الجنسـية تفسد النسل والحرث مدی الدهور والأجيال، فبما أنّ هذه القضايا قضايا ثابتة فی حياته، فالتشريع علی وفقها يکون ثابتاً وفق ثباتها.

فهذه نماذج من الجانب الثابت من حياة الإنسان تناولناها لإيقاف القارئ علی أنّ التغيّر فی حياة الإنسان ليس أمراً کلّياً ولا يتسرَّبُ إلی أعمـاق حيـاته، وإنّمـا التغيّر يرجع إليصور من حيـاته فـالتغير- کمـا سـيوافيک بيـانه- إنّمـا يکون مثلًا: فی المواصـلات، وفی التکتيک الحربی، وفی طراز البنـاء وأشـکاله وفی معالجـة الأمراض وغيرهـا، فأين مثل هـذا التغير من حرمـة الظلم، ووجوب العـدل، ولزوم أداء الأمانات، ودفع الغرامات، ولزوم الوفاء بالعهـد والأيمان، وتکريم ذوی الحقوق إلی غير ذلک من القوانين الثابتـة الموضوعة علی غرار الفطرة مبنياً علی الجانب الثابت من حياته فهو يحتل مکان التشريع الدائم.

الجانب المتغيّر فی الحياة الإنسانية:

اشارة

إنّ للإنسـان جانبـاً آخر فی حياته لا يزال يتغير من حال إلی حال فمثل هـذا يتطلّب تشـريعات متغيّرة حسب تغيّره وتبـدّله، ومن حسـن الحظ أنّه ليس فی الإسلام الخاتم تشريعاً ثابتاً لهذا

ص:۵۷

الجانب من الحياة مظاهر حياته وقشورها لا جوهرها ولذلك لم يتدخّل فيه الإسلام تدخُّلًا مباشراً، بل ترك أمرها للمجتمع الإسلامى فى ظلّ إطارٍ خاص. وسُوَّغ للمجتمع البشرى إدارة شؤون حياته فى مجال العمران والبناء وتطور وسائل الحياة المختلفة فى مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد فى ظلّ إطارٍ عام الذى يتجاوب مع التغيّر والتطوّر.

فترك للإنسان مجالًا متحرّكاً يختار به أىّ نوع من الألبسة والبناء والمعدات والوسائل المختلفة ضمن شروط معلومة فى الفقه الإسلامى، ولأجل هذه المرونة فى الإنسان نرى أنّه يتجاوب مع جميع الحضارات الإنسانية وما هذا إلّالأنّه لم يتدخل فى الجزئيات المتغيّرة إلّابوضع إطار خاص لا يمنع حرّيته ولا يزاحم التغيّر، وهناك كلمة قيّمة للشيخ الرئيس ابن سينا نذكرها، قال:

يجب أن يفوّض كثير من الأحوال خصوصاً فى المعاملات إلى الاجتهاد فإنّ للأوقات أحكاماً لا يمكن أن تنضبط، وأمّا ضبط المدينة بعد ذلك بمعرفة ترتيب الحفظة ومعرفة الدخل والخرج وإعداد أهب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فينبغى أن يكون ذلك إلى السائس من حيث هو خليفة ولا تفرض فيها أحكام جزئية، فإنّ فى فرضها فساداً لأنّها تتغيّر مع تغيّر الأوقات، وفرض الكليات فيها مع تمام الاحتراز غير ممكن فيجب أن يجعل

ص:۵۸

ذلک إلی أهل المشورة «(۱)».

نعم إنّ عنوان مقتضی الزمان صار رمزاً لکلّ من أراد أن يتحرّر من القيم الأخلاقية، ويعيش متحلّلًا من کلّ قيد وحد، خالعاً کل عذار. وهؤلاء حيثما رأوا الإباحة الجنسيّة، واختلاط الرجال والنساء، واتّخاذ الملاهی علی أنواعها وشرب المسکر، واللعب بالميسر، واقتراف المعاصی وأخذ الربا وغير ذلک ممّا حرّمته الشريعة الإسلامية، لم يجدوا مبرِّراً لاقترافها إلّابالتمسّک بمقتضيات الزمان وجبر التاريخ.

وهذا أبرز دليل علی انّ التمسّک به، غطاء للتحرر من القيود الشرعية والأخلاقية وإلّا فلو کان المقصود من تطبيق الحياة علی مقتضيات الزمان، هو ترفيع الثقافة الإنسانية والاستفادة من أحدث الأجهزة فی عامة المجالات فهذا ممّا لا يرفضه الإسلام وليس له فيه قانون يعرقل خطی الترقّی، وحدوده بإطار عام، وهو عبارة ان لا يزاحم سعادة الإنسان وأن لا يکون فيه ضرر علی روحه وجسمه، والقيم التی بها يمتاز عن الحيوان.

وها نحن نأتی فی المقام بنماذج من الأحکام المتغيرة بتغيّر

۱- الشفاء، قسم الإلهيات: ۵۶۶.

ص:۵۹

الظروف وراء ماذکرناه فی مجال الصناعة والمسکن والملبس بشرط أن لا یزاحم المثل والقیم.

۱- فی مجال العلاقات الدولیة الدبلوماسیة:

یجب علی الدولة الإسلامیة أن تراعی مصالح الإسلام والمسلمین، فهذا أصل ثابت وقاعدة عامة، وأمّا کیفیة تلک الرعایة، فتختلف باختلاف الظروف الزمانیة والمکانیة، فتارة تقتضی المصلحة السلام، والمهادنة والصلح مع العدو، وأُخری تقتضی ضدّ ذلک.

وهکذا تختلف المقررات والأحکام الخاصة فی هذا المجال، باختلاف الظروف ولکنّها لا تخرج عن نطاق القانون العام الذی هو رعایة مصالح المسلمین، کقوله سبحانه:

«ولَنْ یَجعلَ اللَّهُ للکافرینَ عَلی المُؤمِنینَ سَبیلًا» (النساء/ ۱۴۱).

وقوله سبحانه: «لا یَنْهاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذینَ لَمْ یُقاتِلُوکُمْ فی الدِّینِ وَلَمْ یُخرِجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقسِطُوا إلَیهِمْ إنَّ اللَّهَ یُحبُّ المُقسِطینَ* إنَّما یَنهاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذینَ قاتَلُوکُمْ فی الدِّینِ وَ أخْرَجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ وظاهَروا علی إخراجِکُمْ أنْ تَوَلَّوهُمْ وَمنْ یَتولَّهُمْ فَأُولئک هُمُ الظّالِمونَ» (الممتحنة/ ۸-/ ۹).

ص:۶۰

۲- فی العلاقات الدولیة التجاریة:

قد تقتضی المصلحة عقدَ اتفاقیات اقتصادیّة وإنشاء شرکات تجاریة، أو مؤسساتصناعیة، مشترکة بین المسلمین وغیرهم، وقد تقتضی المصلحة غیر ذلک. ومن هذا الباب حکم الإمام المغفور له، المجدِّد، السید الشیرازی بتحریم التدخین لیمنع من تنفیذ الاتفاقیة الاقتصادیة التی عقدت فی زمانه بین إیران وإنکلترا، إذ کانت مُجحِفة بحقوق الأُمة المسلمة الإیرانیة لأنّها خوّلت لإنکلترا حقّ احتکار التنباک الإیرانی.

۳- فی مجال الدفاع عن حریم الإسلام:

اشارة

الدفاع عن بیضة الإسلام وحفظ استقلاله وصیانة حدوده من الأعداء، قانون ثابت لا یتغیر، فالمقصد الأسنی لمشرِّع الإسلام، إنّما هوصیانة سیادته عن خطر أعدائه وأضرارهم، ولأجل ذلک أوجب علیهم تحصیل قوة ضاربة ضدّ الأعداء، وإعداد جیش عارم جرّار تجاه الأعداء کما یقول سبحانه: «وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (الأنفال/ ۶۰) فهذا هو الأصل الثابت فی الإسلام الذی یؤیده العقل والفطرة أمّا کیفیة الدفاع وتکتیکه ونوع السلاح، أو لزوم الخدمة العسکریة وعدمه، فکلها موکولة إلی مقتضیات الزمان، تتغیر بتغیره، ولکن فی إطار القوانین العامة

ص:۶۱

فلیس هناک فی الإسلام أصل ثابت، حتی مسألة لزوم التجنید العمومی، الذی أصبح من الأُمور الأصلیة فی غالب البلاد.

وما نری فی الکتب الفقهیة من تبویب باب، أو وضع کتاب خاص، لأحکام السبق والرمایة، وغیرها من أنواع الفروسیة التی کانت متعارفة فی الأزمنة الغابرة ونقل أحادیث فی ذلک الباب عن الرسول الأکرمصلی الله علیه و آله وأئمة الإسلام، فلیست أحکامها أصلیة ثابتة فی الإسلام، دعا إلیها الشارع بصورة أساسیة ثابتة، بل کانت هی نوع تطبیق لذلک الحکم، والغرض منه تحصیل القوة الکافیة، تجاهَ العدو فی تلکم العصور وأمّا الأحکام التی ینبغی أنْ تطبق فی العصر الحاضر فإنّه تفرضها مقتضیات العصر نفسه.

فعلی الحاکم الإسلامی تقویة جیشه وقواته المسلّحة بالطرق التی یقدر معها علیصیانة الإسلام ومعتنقیه عن الخطر ویصدّ کل مؤامرة علیه من جانب الأعداء حسب إمکانیات الوقت.

والمقنِّن الذی یتوخّی ثباتَ قانونه ودوامه وسیادة نظامه الذی جاء به، لا یجب علیه التعرض إلی تفاصیل الأُمور وجزئیاتها، بل الذی یجب علیه هو وضع الکلیات والأُصول لیساير قانونه جمیعَ الأزمنة بأشکالها وصورها المختلفة، ولو سلک غیر هذا السبیل لصار حظّه من البقاء قلیلًا جداً.

ص:۶۲

۴

- فی نشر العلم والمعارف والثقافة:

نشر العلم والثقافة، واستكمال المعارف التی تَضمنُ سیادةَ المجتمع ماديّاً ومعنویّاً، یعتبر من الفرائض الإسلامیة، أمّا تحقیق ذلك وتعیین نوعه ونوع وسائله فلا یتحدّد بحد خاص، بل یوكّل إلی نظر الحاكم الإسلامی، واللجان المقررة لذلك من جانبه حسب الإمكانیات الراهنة فی ضوء القوانین الثابتة.

وبالجملة: فقد ألزم الإسلام، رُعاة المسلمین، وولاة الأمر نشرَ العلم بین أبناء الإنسان واجتثاث مادة الجهل من بینهم ومكافحة أیّ لون من الأُمیة، وأمّا نوع العلم وخصوصیاته، فكل ذلك موكول إلی نظر الحاكم الإسلامی وهو أعلم بحوائج عصره.

فربّ، علم لم یكن لازماً، لعدم الحاجة إلیه، فی العصور السابقة، ولكنّه أصبح الیوم فی الرعیل الأوّل من العلوم اللازمة التی فیهاصلاح المجتمع كالاقتصاد والسیاسة.

۵

- فی مجال إقامة النظام:

حفظ النظام وتأمین السبل والطرق، وتنظیم الأُمور الداخلیة ورفع مستوی الاقتصاد و ... من الضرورات، فیتبع فیه وأمثاله مقتضیات الظروف ولیس فیه للإسلام حكم خاص یتبع، بل

ص:۶۳

الـذی یتوخّاه الإسـلام هو الوصول إلی هـذه الغایات، وتحقیقها بالوسائل الممکنـة، دون تحدید وتعیین لنوع هذه الوسائل وإنّما ذلک متروک إلی إمکانیات الزمان الذی یعیش فیه البشر، وکلها فی ضوء القوانین العامة.

۶

- فی مجال المبادلات المالیة:

قـد جـاء الإسـلام بأصـل ثابت فی مجال الأموال وهو قوله سـبحانه: «ولا تَأْکُلُوا أموالَکُمْ بَینکُمْ بِالباطل» (البقرة/ ۱۸۸) وقد فرع الفقهاء علی هذا الأصل شرطاً فیصحة عقد البیع أو المعاملة فقالوا: یشترط فیصحة المعاملة وجود فائدة مشروعة وإلّا فلا تصح المعاملة ومن هنا حرّموا بیع (الدم) وشراءه.

إلّا أنّ تحریم بیع الـدم أو شـراءه لیس حکماً ثابتاً فی الإسـلام بل الحکم الثابت هو حرمـة أکل المال بالباطل، وکانت حرمـة الـدم فی الزمان السابقصورة إجرائیة لما أفادته الآیة من حرمة أکل المال بالباطل ومصداقاً لها فی ذلک الزمان فالحکم یدور مدار وجود الفائدة (التی تخرج المعاملـة عن أن تکون أکل المال بالباطل) وعـدم تحقّق الفائـدة، فلو ترتبت فائـدة معقولـة علی بیع الدم أو شـرائه فسوف یتبدّل حکم الحرمة إلی الحلّیة، والحکم الثابت هنا هو قوله تعالی: «ولا تَأْکُلُوا أموالَکُمْ بَینکُمْ بِالباطل».

ص:۶۴

وفی هذا المضمار ورد أنّ علیاً علیه السلام سئل عن قول الرسولصلی الله علیه و آله:

غیّروا الشیب ولا تشبهوا بالیهود؟ فقال: علیه السلام: «إنّما قال صلی الله علیه و آله ذلک والدین قَلّ، فأمّا الآن فقد اتّسع نطاقه وضرب بجرانه فالمرء وما اختار» «(۱)».

۱- نهج البلاغة، الحکمة رقم: ۱۶.

ص:۶۵

خاتمة المطاف الشيعة والخاتمية

اشارة

اتفقت الشيعة- قاطبة- تبعاً للكتاب والسنّة على أنّ نبيّ الإسلام، هو النبيّ الخاتم، وكتابه خاتم الكتب، ورسالته خاتمة الرسالات، وقد اوصِد برحيله باب الوحى، وأُقفل بموته باب التشريع، فلا وحى ولا تشريع بعد ذهابه وقد وقفت على كلام الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام عند تغسيل النبيّصلى الله عليه و آله وتجهيزه فلا نعيد «(۱)».

غير أنّ هناك شبهات ضئيلة فى المقام تطرح من جانب أُناس،

۱- لاحظ الحديث ۴ فى فصل الخاتمية فى أحاديث العترة الطاهرة.

ص:۶۶

لا عرفان لهم بمذهب الشيعة ولا تعرّفَ لهم عليه من كثب وقد تلقّوها من المستشرقين أو من البعداء عن البيئات الشيعية.

وهذه الأسئلة تجمعها الأُمور التالية.

١- كيف تقولون بالخاتمية وإيصاد باب الوحى والتشريع وأنتم تعملون بكتاب علىّ عليه السلام؟

٢- كيف تقولون بذلك، وعندكم مصحف، باسم مصحف فاطمة وهل كان عند بنت المصطفيصلى الله عليه و آله قرآن غير القرآن الحاضر عند المسلمين؟

٣- كيف تقولون ذلك وأنتم تعتمدون على روايات مرويـة عن الأئمـة الاثنى عشر، بصورة موقوفة غير متصلة إلى النبىّ الأكرم وهل الأئمة الاثنا عشر ممّن يوحى إليهم؟

إنّ هـذه الأسـئلة ربمـا تنطلى على الجاهل غير العارف بمعتقـدات الشـيعة فيرميهم بما هم براء منه، ولأجل رفع الغطاء نأخـذ كلَّ واحد بالدراسة بوجه موجز.

١- كتاب علىّ وإملاء رسول اللّه:

إنّ السؤال الأوّل يرجع إلى كتاب علىّ وأنّه ما هو. وهل هو أحاديث رسول اللّهصلى الله عليه و آله التى دوّنها الإمام دون غيره وإليك

ص:۶۷

التفصیل:

کانت لمدرسة أئمة اهل اللبیت عنایة خاصة لضبط وتدوین کل ما اثِر عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله من قول وفعل، لأنّه صلی الله علیه و آله لا یصدر فی مجال التشریع والتعلیم إلّاعن الوحی قال سبحانه: «ومایَنطِقُ عنِ الهَوی* إنّ هوَ إلّاوَحیٌ یُوحی» (النجم/ ۳- ۴) وکان صلی الله علیه و آله علی علم قاطع بأنّه سوف ینتقل إلی رحمة اللّه، وأنّ الأُمة الإسلامیة سوف تحتاج إلی کلماته وأقواله، وأفعاله وأعماله ولا تبقی خالدة إلّا بالضبط والتدوین.

إنّ الإمام علیّ بن أبی طالب علیه السلام کان ولیدَ البیت النبویّ وکان مع الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله منذ نعومة أظفاره إلی رحیل رسول اللّه عن الدنیا وهو علیه السلام یصف حیاته فیصباه وما بعده ویقول: «ولقد کنتُ أتّبعُه (یعنی رسول اللّه) اتِّباع الفصیل أثر أُمه، یرفعُ لی فی کلّ یوم من أخلاقه علماً، ویأمرنی بالاقتداء به، ولقد کان یجاور فی کل سنة بِحِراءَ فأراه ولا یراه غیری. ولم یجتمع بیت واحد یومئذ فی الإسلام غیر رسول اللّهصلی الله علیه و آله وخدیجة وأنا ثالثهما، أری نور الوحی، والرسالة وأشمّ ریح النبوّة «(۱)».

کان ربیبه علی علیه السلام یلازمه لیلًا ونهاراً، سفراً وحضراً، فی

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغة، الخطبة: ۱۹۲.

ص:۶۸

موطِنه ومهجَره، لم یفارقه فی غزوة إلّاغزوة تبوک وقد أقامه رسول اللّه مقامه فی المدینة لیکون عیناً للمسلمین، علی المنافقین، وصاعقة علی المتمردین إذا حاولوا المؤامرة، أو إیذاء من بقی من المسلمین من الشیوخ والأطفال، إلی أن دخل العام الحادی عشر للهجرة وقد قرب أجله وارتحاله ومرض وکان علی هو الممرّض له وقُبض ورأسه لعلیصدره.

إنّ علیاً علیه السلام یشرح ذلک الموقف ویقول: «ولقد قُبِضَ رسول اللّه صلی الله علیه و آله وإنّ رأسه لَعلَیصدری- إلی أن یقول- ولقد ولّیتُ غسلَهصلی الله علیه و آله والملائکة أعوانی، فضجت الدار والأفنیة، ملأ یهبط، وملأ یعرُج وما فارقَتْ سمعی (هینمة) «(۱)» منهم، یصلّون علیه. حتی وارِیناه فی ضریحه. فَمَن ذَا أحقُّ به منّی حیّاً ومیّتا؟ «(۲)».

کل ذلک یعرف عن لواذ الإمام واحتصانه بالنبیّ الأکرمصلی الله علیه و آله والتجائه إلیه.

وقد اختص الإمام بهذا المقام من بین الصحابة ولم یشارکه غیره وبذلکصار باب علم النبی «(۳)» والحاکم الروحی علی الأطلاق حتی عصر الخلفاء ولا یشک فی ذلک من فتح عینیه علی

۱- الصوت الخفی.

۲- الشریف الرضی، نهج البلاغة، الخطبة: ۱۹۷.

۳- المتقی الهندی، کنز العمال ۶: ۱۵۶ وص ۴۰۱.

ص:۶۹

سیرة الخلفاء وتاریخ المسلمین.

ولمثل هذا النوع من التلاحم

یصف علی علیه السلام حاله مع النبیّ ویقول: «إنّی إذا کنت سألته أنبأنی، وإذا سکتُّ ابتدأنی» «(۱)».

کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یأمر علیاً علیه السلام أن یکتب کل ما یملی علیه فقال علیه السلام مرّة لرسول اللّه:

«یا نبیّ اللّه أتخاف علیَّ النسیان؟ قال: لستُ أخاف علیک النسیان، وقد دعوت اللّه أن یحفظک ولا ینسیک ولکن اکتب لشرکائک قال قلت: ومن شرکائی یا نبیّ اللّه؟ قال: الأئمة من ولدک «(۲)».

وکان من جملة ما أملاه علیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وکتب علی علیه السلام بخطه، کتاب طولها سبعون ذراعاً فی عرض الأدیم وهذا هو المعروف بکتاب علیٍّ أوصحیفته اشتهر أمره بین الشیعة وأئمتهم وفیها ما یحتاج إلیه الناس فی مجال الأحکام إلی یوم القیامة، وکانت الأئمة بعد الإمام یصدرون عنه ویروُونَ عنه، ویستشهدون فی مواقع خاصة به، ولیس کتابه سوی أحادیث أملاه النبیّ، وکَتبه

۱- السیوطی، تاریخ الخلفاء: ۱۱۵.

۲- الصدوق، کمال الدین ۱: ۲۰۶، وأمالیه: ۲۲۷، وغیرهما.

ص:۷۰

الوصیّ وورثه أبناؤه کابر عن کابر، ونقلوا عنه شیئاً کثیراً وبذلکصار الإمام هو المدوِّن الرسمی للحدیث النبویّ، وإن کان بعض الصحابة «(۱)» شارکه فی ضبط الحدیث النبوی، لکنصحائفهم وکتبهم أُحرقت- ویا للأسف- فی عصر الخلفاء لمصالح هم أعرف بها، وبذلک خسر المسلمون والسنّة النبویة خسارة کبری لاتستقال وبالتالیصار الحدیث النبوی مرتعاً لوضع الوضاعین والکذابین یلصقون بها ما شاءوا من الاسرائیلیات والمسیحیات والمجوسیات، لکن بقی کتاب الإمام غضّاً طریّاً مصوناً من الشرّ، یرثه إمام بعد إمام.

ولأجل إیقاف القارئ بواقع الأمر، نذکر مواصفات الکتاب ومیزاته، وشیئاً من نصوصه، حتی یتبیّن إنّ کتاب علیّ علیه السلام لم یکن إلّا جامعاً حدیثیاً وکان تدویناً مبکراً للسنّة النبویة المطهرة وکتابه هذا هو سمة إکمال الدین الذی هو العماد لمسألة الخاتمیة.

أ- روی: بکر بن کرب الصیرفی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السلام یقول: إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلی الناس، وإنّ الناس لیحتاجون إلینا وإنّ عندنا کتاباً إملاء رسول اللّهصلی الله علیه و آله وخطّ علیّ علیه السلام،صحیفة

۱- الترمذی، السنن ۵: ۳۹، کتاب العلم، الدارمی، السنن ۱: ۱۲۵، باب من رخص فی کتابة العلم، الامام أحمد، المسند ۲: ۲۱۵، وغیره.

ص:۷۱

فیها کلّ حلال وحرام «(۱)».

ب- روی فضیل بن یسار قال: قال لی أبو جعفر علیه السلام: یا فضیل! عندنا کتاب علی سبعون ذراعاً، ما علی الأرض شیء یحتاج إلیه إلّاوهو فیه حتی أرش الخدش «(۲)».

ج- روی أبو بصیر- فی حدیث- عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: یا أبا محمد! وإنّ عندنا الجامعة وما یُدریهم ما الجامعة قال قلتُ: جعلتُ فداک، وما الجامعة؟ قال:صحیفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّهصلی الله علیه و آله وإملائه من فِلق فیه، وخط علیّ علیه السلام بیمینه فیها کل حلال وحرام وکل شیء یحتاج إلیه الناس حتی الأرش فی الخدش «(۳)».

د- روی أیضاً عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: سمعته یقول- وذکر ابن شبرمة فی فتیاه- فقال: أین هو من الجامعة: إملاء رسول اللّه وخطّه علیّ بیده، فیها جمیع الحلال والحرام حتی أرش الخدش فیه «(۴)».

إلی غیر ذلک من الروایات الحاکیة لخصوصیات الکتاب

۱- الکلینی، الکافی ۱: ۲۴۱، والصفار، بصائر الدرجات: ۱۴۲.

۲- الصفار، بصائر الدرجات: ۱۴۷.

۳- الکلینی، الکافی ۱: ۲۳۹، والصفار، بصائر الدرجات: ۱۴۳.

۴- المتقی الهندی، کنز العمال ۱۰: ۲۹۳، رقم ۲۹۴.

ص:٧٢

وميزاته التى رواه أصحاب المعاجم من محدّثى الشيعة، فتسمية أئمة أهل البيت تارة بكتاب علىّ وأُخرى بالجامعة وثالثة بصحيفة علىّ والكتاب يعرب عن عنايةالإمام بضبطأحاديث الرسولصلى الله عليه و آله، كما يعرب عن عناية سيد الثقلين، بكتابة حديثه، ليبقى مرّ العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والدسُّ.

وفى العصر الذى كان الناس يروون عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

لا تكتبوا عنّى ومن كتب عنّى غير القرآن فليمحه «(١)» وانّ فريقاً من الصحابة استأذنوا النبيّصلى الله عليه و آله أن يكتبوا عنه فلم يأذنهم «(٢)».

وفى العصر الذى كانت مدرسة الخلفاء تروّج تقليل الرواية عن الرسول، وكلّما يبعث الخليفة عمر بن الخطاب والياً إلى قطرٍ أو بلدٍ يوصيه فى جملة ما يوصيه بقوله: «جرّدوا القرآن واقلّوا الرواية عن محمد وأنا شريككم» «(٣)» وربما يعيب افشاء الحديث عنهصلى الله عليه و آله ويقول مخاطباً لأبىذر، وعبد اللّه بن مسعود، وأبى الدرداء «وما هذا الحديث الذى تفشون عن محمد» «(۴)».

ففى تلك العصور الحرجة، نرى أئمة أهل البيت يحتفظون

١- الدارمى، السنن ١: ١١٩، والامام احمد ٣: ١٢.

٢- الدارمى، السنن ١: ١١٩، والامام احمد ٣: ١٢.

٣- الطبرى، التاريخ ٣: ٢٧٣ طبعه الاعلمى بالافست.

۴- المتقى الهندى، كنز العمال ١٠: ٢٩٣، رقم ٢٩۴.

ص:۷۳

بکتاب علی، ویعتمدون علیه فی نقل الحلال والحرام، وبه یردون ما کان یصدر من الفتیا الشاذة عن الکتاب والسنة ولا یقمیون للمنع عن الکتابة والروایة وزناً ولا قیمة، ولنذکر نماذج من روایات کتاب علی لیعلم موقفه منصیانة السنة من الضیاع.

۱- روی أبو بصیر عن أبی جعفر الباقر علیه السلام قال: کنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فیها أبو جعفر علیه السلام فإذا فیها المرأة تموت وتترک زوجَها لیس لها وارث غیره قال: فله المال کلّه «(۱)».

۲- روی أبو بصیر المرادی قال: سألت أبا عبد اللّه عن شیء من الفرائض، فقال: ألا اخرِج لک کتاب علیّ علیه السلام- إلی أن قال:- فأخرجه فإذا کتاب جلیل وإذا فیه: رجل مات وترک عمّه وخاله فقال: للعم الثلثان وللخال الثلث «(۲)».

۳- روی عبد الملک بن أعین قال: دعا أبو جعفر بکتاب علیّ فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطویاً فإذا فیه: إنّ النساء لیس لهنّ من عقار الرجل- إذا هو توفّی عنها- شیءٌ فقال أبو جعفر علیه السلام:

هذا واللّه خطّ علیّ بیده وإملاء رسول اللّه «(۳)».

۱- الصفار، بصائر الدرجات: ۱۴۵.

۲- الکلینی، الکافی ۷: ۱۱۹

۳- الحر العاملی، وسائل الشیعة ۱۷: ۵۲۲، الباب ۶ من أبواب میراث الأزواج، الحدیث ۱۷.

ص:۷۴

۴- روی محمد بن مسلم الثقفی: قال: أقرأنی أبو جعفر کتاب الفرائض التی هی إملاء رسول اللّه وخطّ علی فإذا فیها انّ السهام لا تعول «(۱)».

۵- روی عذافر الصیرفی قال: کنت مع الحکم بن عتیبه عند أبی جعفر علیه السلام فجعل یسأله وکان أبو جعفر علیه السلام له مکرماً فاختلفا فی شیء فقال أبو جعفر: یا بُنیّ قُم فأخرِج کتابَ علیّ، فأخرج کتاباً مدرّجاً عظیماً وفتحه وجعل ینظر حتی أخرج المسألة فقال أبو جعفر علیه السلام: هذا خط علیّ علیه السلام وإملاء رسول اللّهصلی الله علیه و آله «(۲)».

وهذه الروایات تکشف عن أنّ کتاب الفرائض الذی ذکر لعلیّ علیه السلام کان جزءاً من کتابه الکبیر.

۶- روی ابن بکیر قال: سأل زرارة أبا عبد اللّه علیه السلام عن الصلاة فی الثعالب والسنجاب وغیره من الوبر فأخرج کتاباً زعم أنّه إملاء رسول اللّهصلی الله علیه و آله: إنّ الصلاة فی وبر کلّ شیء حرام أکله فالصلاة فی وبره وشعره وجلده، وبوله وروثه وألبانه وکلّ شیء منه فاسد لا تقبل تلک الصلاة حتی تصلّی فی غیره ممّا أحل اللّه أکله

۱- الطوسی، تهذیب الاحکام ۹: ۲۴۷، والحر العاملی، وسائل الشیعة ۱۷: ۴۲۳، الباب ۶ من ابواب موجبات الارث، الحدیث ۱۱.

۲- رواه النجاشی فی رجاله فی ترجمة محمد بن عذافر بن عیسی الصیرفی المدائنی ۲: ۲۶۰، رقم ۹۶۷.

ص:٧٥

ثم قال: يا زرارة هذا عن رسول اللّه «(١)».

وقد اقتصرنا على هذا المقدار ليعلم أنّ الكتاب، أقدم جامع حديثى، أملاه النبىّ وكتبه الإمام علىّ وكان الكتاب موجوداً بين أئمة أهل البيت يرثه كابر عن كابر، يصدرون عنه فى الإفتاء وشاهده غير واحد من أصحابهم، والكتاب وإن لم يكن موجوداً بشخصه بيننا، لكن روى أصحاب الجوامع الحديثية كالكلينى، والصدوق والطوسى، قسماً كبيراً منه وفرقوا أحاديثه على أبواب كتبهم على الترتيب المألوف، وقد جمعها العلامة الحجة الشيخ على الأحمدى فى موسوعته (مكاتيب الرسول) «(٢)».

نعم بقى هنا سؤال:

هل هذا الكتاب، نفس الصحيفة التى كانت فى قراب سيفه أو غيره؟

الجواب: قد ذكر غير واحد من المحدثين انّه كانت لعلىّ فى قراب سيفه صحيفة لكن الخصوصيات التى ذكرت للكتاب فى الروايات تدل مائة بالمائة على أنّه غير الصحيفة التى كان يجعلها فى قراب سيفه، وكيف وقراب السيف لا يسع إلّاصحائف صغار، مهما لفّت وادرِجت فأين هى من المواصفات التى وقفت عليها من أنّه كتاب

١- الكلينى، الكافى ٣: ٣٩٧ ح ١.

٢- الأحمدى، مكاتيب الرسول ١: ٧٢-/ ٧٩.

ص:٧۶

طولها سبعون ذراعاً، أو طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، أو مثل فخذ الفالج «(١)» أو أخرج أبو جعفر كتاباً مدرّجاً عظيماً، أو كتاباً جليلًا أو هو مثل فخذ الرجل مطوياً، إلى غير ذلك ممّا مرّ ذكرها.

نعم روى أبو جحيفة، قال: سألت علياً رضى الله عنه: هل كان عندكم من النبىّ صلى الله عليه و آله شىء سوى القرآن؟ قال: والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة، إلّاأن يوتى اللّه عبداً فهماً فى القرآن، وما فى الصحيفة، قلت: وما الصحيفة؟ قال: العقل وفِكاك الأسير، ولايقتل مؤمن بكافر «(٢)».

إنّ هذه الرواية مهماصحّت ونقلها أئمة الحديث، لا تقابل ما نقلناه عن أئمة أهل البيت حول كتاب علىّ، ومواصفاته، ومشاهدة جمّ غفير لهذا الكتاب، وقد نقلنا النزر اليسير من الكثير، وهذا الحديث وما شابهه فى التعبير وضعت لنفى ما عند علىّ من ودائع النبوة وعلوم النبيّصلى الله عليه و آله، والذى يعرب عن ذلك، الاصرار على أنّه ليس عند على سوى كتاب اللّه أو الصحيفة الموجودة فى قراب سيفه، فقد رووها بالعبارات التالية:

أ- ما كتبنا عن النبىّ إلّاالقرآن وما فى هذه الصحيفة.

١- الكلينى، الكافى ١: ٢۴١.، الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين.

٢- الإمام أحمد، المسند ١: ٧٩.

ص:۷۷

ب- من زعم أنّ عندنا شیئاً نقرأه إلّاکتاب اللّه أو هذه الصحیفة فقد کذب.

ج- ما خصّنا رسول اللّه صلی الله علیه و آله بشیء لم یخص به الناس إلّاما فی قراب سیفی هذا.

د- ما عهد إلیَّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله شیئاً خاصاً دون الناس إلّاشیء سمعته، وهو فیصیحفة قراب سیفی ... «(۱)».

إلی غیر ذلک من التعابیر الهادفة إلی نفی علمه بشیء إلّا بالکتاب والصحیفة الصغیرة.

نحن نغض الطرف عمّا ذکرنا، فلوصح ما فی هذه الروایة، فما معنی قولهصلی الله علیه و آله لعلیّ، أنا مدینة العلم وعلیّ بابها، وقد نقل کثیر من الحفاظ والمحدّثین، وهذا شمس الدین المالکی یذکره فی شعره بقوله:

وقال رسول اللّه إنّی مدینة من العلم وهو البابوالبابَ فاقصدِ

وقد رواه من الحفاظ والأئمة لفیف ربّما یناهز مائة وثلاثة وأربعین شخصاً «(۲)» وقد ذکروا حول الحدیث کلمات تعرب عن

۱- لاحظ المصادر التالیة: أحمد بن حنبل، المسند ۱: ۸۱، ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۱۰، ابن کثیر، البدایة والنهایة ۵: ۲۵۱، مسلم، الصحیح ۴: ۲۱۷.

۲- لاحظ الغدیر ۶: ۶۱-/ ۷۷.

ص:۷۸

مفاد الحدیث.

قال الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن یوسف الکنجی الشافعی (المتوفی ۶۵۸ ه): قال العلماء من الصحابة والتابعین وأهل بیته بتفضیل علیّ علیه السلام وزیادة علمه وغزارته، وحدّة فهمه ووفور حکمته، وحسن قضایاه، وصحّة فتواه، وقد کان أبو بکر وعمر وعثمان وغیرهم من علماء الصحابة یشاورونه فی الأحکام ویأخذون بقوله فی النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، وبرصانة عقله، وصحة حکمه، ولیس هذا الحدیث فی حقّه بکثیر، لأنّ رتبته عند اللّه وعند رسوله وعند المؤمنین أجلّ وأعلا من ذلک «(۱)».

وقال فضل بن روزبهان فی ضمن ردّه علی حجاج العلامة بأعلمیة أمیر المؤمنین بحدیثی: أقضاکم علیّ، و: أنا مدینة العلم، من طریق الترمذی، قال ما هذا نصّه: وأمّا ما ذکره المصنف من علم علیّ فلا شک فی أنّه من علماء الأُمة، والناس محتاجون إلیه فیه وکیف لا، وهو وصیّ النبیّ فی إبلاغ العلم وودائع حقائق المعارف، فلا نزاع لأحد فیه، وما ذکره منصحیح الترمذیصحیح «(۲)».

۱- کفایة الطالب فی مناقب علی بن أبی طالب: ۱۹۵.

۲- دلائل الصدق ۳: ۵۱۵ ط مصر.

ص:۷۹

وقال المناوی فی فیض القدیر تفسیراً لقولهصلی الله علیه و آله: علیّ عیبة علمی: أی مظنّة استفصاحی وخاصتی وموضع سرّی، ومعدن نفائسی. والعیبة: ما یحرز الرجل فیه نفائسه قال ابن درید: وهذا من کلامه الموجز الذی لم یسبق ضرب المثل بشیء أراده اختصاصه بأُموره الباطنة التی لا یطّلع علیها أحد غیره، وذلک غایة فی مدح علیّ «(۱)».

وأخرج الطبرانی عن ابن عباس أنّه قال: کنّا نتحدّث معاشر أصحاب رسول اللّهصلی الله علیه و آله إنّ النبیّصلی الله علیه و آله عهد إلی علیّ سبعین، لم یعهدها إلی غیره «(۲)».

ورواه القندوزی فی ینابیعه ثمانین عهداً مکان سبعین «(۳)».

فقد خرجنا بالنتائج التالیة:

۱- إنّ کتاب علیّ من إملاء رسول اللّه وخطّ علی.

۲- إن الکتاب أول جامع حدیثیّ قام بکتابته علیّ لتدوین السنّة وصیانتها من الضیاع.

۳- کانت فی قرابة سیف علیّصحیفة، ولکن لم تکن هیالشیء الوحید عند علیّ، وإنّ کتاب علیّ- حسب ما مرّ من المواصفات-

---

۱- المناوی، فیض القدیر ۴: ۳۵۶.

۲- الطبرانی، المعجم الصغیر: ۶۹.

۳- القندوزی، ینابیع المودة: ۸۹.

ص:۸۰

غير تلك الصحيفة.

۴- إذا كـان علىّ هو بـاب علم النبىّ، والحاكم الروحىّ فى عصـر الخلفاء وما بعـده فيلزم أن يكون عنـده ودائع النبوّة، وجميع ماتحتاج إليه الأُمة فى مجال الأحكام.

۲- مصحف فاطمة:

لا شك أنّه كان عند فاطمة مصـحفاً، حسب ما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصّاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاص، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

المصحف: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف وإنّما سمى المصحف مصحفاً لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين.

ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقران فى عصـر نزوله، وإنّماصار علماً له بعد رحيل رسول اللّهصـلى الله عليه و آله قال السيوطى: روى ابن أشتة فى كتاب المصاحف انّه لمّا جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر:

التمسوا له إسماً، فقال بعضهم: السفر: وقال بعضهم المصحف فانّ الحبشة يسمّونه المصحف قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب

ص:۸۱

اللَّه وسمّاه المصحف «(۱)».

وأمّا ما هو واقع هذا الكتاب، فقد كشف عنه الروايات المتضافرة عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلّامة الشيخ مصطفى قصير العاملى فى دراسته كتاب علىّ ومصحف فاطمة.

وإليك بعضها:

روى أبو عبيدة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: ... إنّ فاطمة مكثت بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خمسة وسبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها، وكان علىّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة «(۲)».

روى أبو حمزة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: مصحف فاطمة مافيه شىء من كتاب اللَّه وإنّما هو شىء أُلقى إليها بعد موت أبيهاصلوات اللَّه عليهما «(۳)».

۱- السيوطى، الاتقان فى علوم القرآن ۱: ۱۸۵.

۲- الكلينى، الكافى ۱: ۲۴۱.

۳- الصفار، بصائر الدرجات: ۱۹۵، ط مكتبة المرعشى

ص:۸۲

والعجب أنّ الدس الإعلامى قد اتّخذ لفظ مصحف فاطمة ذريعة لاتّهام الشيعة بأنّ عندهم قرآناً يسمى مصحف فاطمة، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم، فإنّ للحق دولة، وللباطل جولة.

ولعلّ القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدَّثة تحدّثها الملائكة كما ورد فى الرواية السابقة، غير أنّ فاطمة عليها السلام لا تقل شأناً عن مريم البتول، ولا- عن امرأة الخليل. قال سبحانه: «وإِذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إِنَّ اللَّهَ اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين» (آل عمران/ ۴۲) إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى سورتى آل عمران، ومريم.

وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: «ولَقَدْ جاءتْ رُسلُنا إبراهيمَ بالبُشرى .. وامرأتُهُ قائمةٌ فضَحِكَتْ فَبشَّرناها بإسحقَ ومن وراءِ إسحقَ يَعقوب* قالَتْ يا ويلتَى أأَلِدُ وأنا عَجوزٌ وهذا بَعْلى شَيخاً إنّ هذا لَشىءٌ عَجيب* قالُوا أتَعجَبينَ مِنْ أمرِ اللَّهِ رحمتُ اللَّهِ وبركاتُهُ عَليكُمْ أهلَ البَيتِ إنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ» (هود/ ۶۹-/ ۷۳).

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدّثتين، ففاطمة سيدة نساء العالمين أولى بأن تكون محدّثة.

ص:۸۳

۳- ما هو مصدر روايات أئمة أهل البيت؟

اشارة

هذا هو السؤال الثالث من الاسئلة الثلاثة المطروحة حول الخاتمية لدى الشيعة فنقول:

انّ لعلوم أئمة أهل البيت مصادر مختلفة ونشير الى اصولها تاركين البحث فى فروعها.

أ- النقل عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله

إنّهم عليهم السلام كثيراً ما يروون الحديث عن آبائهم عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله معنعناً، من دون أن يتوسّط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

إنّ علىّ بن موسى الرضا لمّا ترك نيسابور عازماً إلى مرو، اجتمع حوله لفيف من المحدّثين، فطلبوا منه أن يحدّثهم بحديث جدّهصلى الله عليه و آله، فقال:

حدّثنى أبى موسى بن جعفر، قال: حدثنى أبى جعفر الصادق، قال: حدثنى أبى أبو جعفر الباقر، قال: حدّثنى أبى على بن الحسين، قال: حدثنى أبى الحسين بن على، قال: حدثنى أبى علىّ بن أبى طالب، قال: حدثنى رسول اللّه عن جبرئيل عليه السلام عن اللّه قال: لا إله إلّا اللّه حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى «(۱)».

۱- الصدوق: عيون أخبار الرضا ۲/ ۱۴۳.

ص:۸۴

إنّ هـذا النوع من الأحاديث متوفّر فى الجوامع الحديثيـة للشـيعة، فلو قام باحث بجمع هـذا النوع الـذى يروى فيه كابر عن كابر والإمام بعد الإمام لبلغ موسوعة كبيرة.

هذا هو هشام بن سـلمان، وحماد بن عثمان، وغيرهما من أصـحاب الإمام الصادق، قالوا: سـمعنا أبا عبد اللّه عليه السـلام يقول: حديثى حـديث أبى، وحـديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحديث رسول اللّه قول اللّه عزوجل «(۱)».

ب- النقل عن كتاب علىّ

إنّ أئمـة أهل البيت كانوا يسـتندون إلى كتاب علىّ ويحتجّون به، فكان الكتاب أحـد مصادر علومهم التى يصـدرون عنها، وقد وقفت على قسم قليل منها.

ج- الإلهام أو تحديث الملائكة

۱- الكلينى، الكافى ۱/ ۵۳ برقم ۱۴.

ص:۸۵

إنّ أئمـة أهل البيت حسب النصوص محـدّثون، تحـدّثهم الملائكـة، كما كانت تحدّث مريم البتول وامرأة الخليل، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة فالكلّ ممّا كان يلقى فی روعهم.

وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلًا على من لم يعرف مقاماتهم، إلّاأنّهصحيح لمن درس حياتهم، ووقف على أحوالهم.

ولأجل إيقاف القارئ على أنّ المحدَّث أمر مما اتفق عليه الأعلام نبحث عنه على وجه الإيجاز:

المُحَدّث فی الإسلام:

المحـدَّث بصـيغة المفعول: من تكلّمه الملائكـة بلاـ نبوّة ولاـ رؤيـةصورة أو يلهم له ويلقى فی روعه شـیء من العلم على وجه الإلهـام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له فی قلبه من حقائق تخفى على غيره.

المحدّث بهذا المعنى ممن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنّة، ولو كان هناك خلاف فإنّما هو فی مصداقه.

وقبل ذلك نجد المحدّث فی الأُمم السالفة، فهذاصاحب موسـى كان محدّثاً، فقد أخبره عن مصـير السـفينة والغلام والجدار على وجه جاء فی سورة الكهف «(۱)» فهو لم يكن نبيّاً ولكنّه كان عارفاً بما

۱- من الآية: ۶۰-/ ۸۲.

ص:۸۶

سيحدث وقد عرفه بإحدى الطرق المذكورة.

وهذه مريم البتول، كانت الملائكة تكلّمها وتحدّثها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

«وإذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللَّهَ اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين» (آل عمران/ ۴۲).

وقال سبحانه:

«إذ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللَّهَ يبشِّرُكِ بِكَلِمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عِيسى ابنُ مريمَ وَجيهاً فى الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقرَّبِينَ» (آل عمران/ ۴۵).

وهذه أُمّ موسى يلقى فى روعها ويوحى إليها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

«وأوحينا إلى أُمّ موسى أنْ أرضِعيهِ فإذا خِفتِ عَليهِ فَألقيهِ فى اليَمِّ ولا تخافى ولا تَحزنى إنّا رادُّوهُ إلَيكِ وجاعِلوهُ مِنَ المُرسَلين» (القصص/ ۷).

وأمّا السنّة النبوية ففيها تصريح بأنّ فى الأُمة الإسلامية- نظير الأُمم السالفة- رجالًا يكلّمون من دون أن يكونوا أنبياء؛ وإليك بعض هذه النصوص:

ص:۸۷

۱- أخرج البخاری فیصحیحه عن أبی هریرة قال: قال النبی:

لقد کان فیمن کان قبلکم من بنی إسرائیل رجال یکلمون من غیر أن یکونوا أنبیاء فإن یکن من أُمّتی منهم أحد فعمر بن الخطاب «(۱)».

۲- أخرج البخاری عن أبی هریرة مرفوعاً أنّه قد کان فیما مضی قبلکم من الأُمم محدّثون، إن کان فی أُمتی هذه منهم فإنّه عمر بن الخطاب «(۲)».

قال القسطلانی فی شرح الحدیث: یجری علی‌ألسنتهم الصواب من غیر نبوّة وقال الخطّابی: یلقی الشیء فی روعه فکأنّه قد حُدّث به، یظنّ فیصیب ویخطر الشیء بباله فیکون. وهی منزلة رفیعة من منازل الأولیاء «(۳)».

۳- أخرج مسلم فیصحیحه عن عائشة عن النبی: قد کان فی الأُمم قبلکم مُحدّثون فإن یکن فی امتی منهم أحد فإنّ عمر بن الخطّاب منهم، قال ابن وهب: تفسیر «محدّثون» ملهمون.

قال النووی فی شرحصحیح مسلم: اختلف العلماء فی تفسیر المراد ب (محدثون) فقال ابن وهب: ملهمون، وقیل: مصیبون إذا ظنّوا فکأنّهم حدّثوا بشیء فظنّوه، وقیل تکلّمهم الملائکة وجاء

۱- البخاری ۲: ۱۹۴ باب مناقب عمر بن الخطاب.

۲- البخاری ۲: ۱۷۱، بعد حدیث الغار.

۳- القسطلانی، إرشاد الساری فی شرح صحیح البخاری ۵: ۴۳۱، انظر أیضاً ۶: ۹۹.

ص:۸۸

فی روایة مکلّمون وقال البخاری: یجری الصواب علی ألسنتهم وفیه، کرامات الأولیاء «(۱)».

ومن راجع شروح الصحیحین یجد نظیر هذه الکلمات بوفرة؛ والرأی السائد فی تفسیر المحدّث هو تکلیم الملائکة أو الإلقاء فی الروع هذا ما لدی السنّة، وأمّا الشیعة، فعندهم أخبار عن أئمتهم تصرّح بأنّهم محدّثون وفی الوقت نفسه لیسوا بأنبیاء.

روی الکلینی فی باب الفرق بین الرسول والنبی والمحدّث أحادیث أربعة:

قال: المحدّث الذی یسمع الصوت ولا یری الصورة. وفی روایة أُخری سألته عن الإمام ما منزلته؟ قال: یسمع الصوت ولا یری ولا یعاین الملک.

إلی غیر ذلک من الروایات المصرّحة بأنّ الأئمة الاثنی عشر محدَّثون «(۲)».

روی الصفار فی بصائر الدرجات عن برید: قلت لأبی جعفر وأبی عبد اللّه علیهما السلام: ما منزلتکم بمن تُشَبَّهون ممن مضی؟

فقال: کصاحب موسی وذی القرنین کانا عالمین ولم یکونا

۱- النووی، شرح صحیح مسلم ۱۵: ۱۶۶.

۲- الکلینی، الکافی ۱: باب الفرق بین الرسول والنبی والمحدث: ۱۷۶.

ص:۸۹

نبيّين «(۱)».

هـذا ما لدى الفريقين وبذلك يُعْلَم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من اللّه سبحانه لايلازم كون المخبر نبياً، وإنّ تَكَلُّم الملائكة مع إنسان لا يصلح دليلًا على كونه مبعوثاً من اللّه سبحانه للنبوة.

ولو اعتمدت الشيعة على علم الأئمة لأجل كونهم وارثين لعلم النبى ووارثين لما عند علىّ من الكتب التى كتبها بإملاء من رسول اللّه، أو محدَّثين تلقى فى روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدل على أنّهم أنبياء ومن نسبهم إلى تلك القرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم، فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه‌ربّ العالمين.

۱- الصفار: بصائر الدرجات ۸: ۳۶۸.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹